

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

◦ 4HεH : ◊ ∩C∶ V∶ | | εXX∶ | ◦ Vε∶ ◊ ◦ |
X◦ ◊V◦ ∩εXI ∩C∶ ∩∶ V◦ XC∩∶ CC∶ ◊ Xε∶ ∶ ∶
X◦ ∶ ∞∞◦ ∶ XI + ◊ ∩Hε∩εI VX∶ XH◦ ∶ εI

UNIVERSITE MOULOUD MAMMARI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT DE LANGUE ET LITTERATURE ARABES



جامعة مولود معمري - تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

رقم الترتيب.....

الرقم التسلسلي.....

مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي.

الفرع: الدراسات اللغوية

التخصص: لسانيات تطبيقية

المناظرات النحوية ودورها في إثراء الدرس النحوي

إشراف الأستاذة:

- أ/عقيلة لعشبي

إعداد الطالبتين:

- مليكة حجار

_ فايذة حامي

أعضاء لجنة المناقشة:

د/ زاهية راكن جامعة مولود معمري، تيزي وزو.....رئيسة

أ/عقيلة لعشبي جامعة مولود معمري، تيزي وزو.....مشرفة ومقررة

د/مسعودة سليمان جامعة مولود معمري، تيزي وزو.....عضوة ممتحنة

السنة الجامعية : 2017م- 2018م

كلمة شكر

أولا وقبل كل شيء نشكر الله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل،
ثم نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم، للأستاذة المشرفة «عقيلة
لعشبي»، التي بذلت معنا جهدا، وساعدتنا إلى نهاية هذا العمل،
ولما قدّمته لنا من نصائح قيّمة وثرينة.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى كلّ أفراد عائلتي خاصة
أمّي وأبي، وإلى خطيبي عزيز وعائلته، ومن شاركني
في العمل خاصة زميلتي مليكة، دون أن أنسى
الأستاذة المشرفة "عقيلة لعشبي".

فايزة

الإهداء

أهدي عملي إليّ كلّ عائلتي، وبالأخص
زوجي، دون أن أنسى زميلتي في العمل "فايزة"،
والأستاذة المشرفة "عقيلة لعشبي".

ملیكة

المقدمة

يندرج بحثنا ضمن الدراسات النحوية، باعتبار النحو القلب النابض للغة العربية، والأساس الذي تتمركز عليه أسسها، ولذا تميّز باهتمام واسع من قبل الدارسين والباحثين.

وقد اجتهد العرب بالبحث في اللغة والاهتمام بالدراسات النحوية منذ قرون خلت، وذلك بغية الحفاظ على هذه اللغة من الضياع والتحريف، وذلك حين ظهر اللحن وانتشر، نظرًا لاختلاط العرب بغيرهم من الشعوب والأجناس الأخرى. كما أنّ النحو يؤدي دورًا أساسيًا في فهم القرآن الكريم، والتوصّل إلى فهم معانيه الشريفة ومعرفة ألفاظه وإعرابه وقراءاته.

النحو أداة ضرورية في أيّ خطاب، فبعد تفشي اللحن على ألسنة العرب كانت الحاجة إلى هذا العلم، فعكف العلماء على وضع القواعد لردّ اللغة إلى صوابها، ويعود الفضل في ذلك إلى سيبويه مؤسس المدرسة البصرية. كما اهتمّ العرب بالبحث في اللغة، ومنحها العناية اللازمة، والاهتمام الكبير في دراساتهم النحوية، وذلك من أجل الحفاظ عليها من الضياع والزوال.

وقد بدأ الاهتمام بالتأليف في العلوم اللغوية كالنحو والصرف والعروض وغيرها من العلوم خدمة للغة العربية، فكان هناك علماء وباحثون وأئمة في اللغة والنحو، أثروا المكتبة العربية بمجموعة من المصادر التي يعتمد عليها غيرهم في دراساتهم النحوية واللغوية.

وقد ظهر النحو بالعراق التي عرفت بعد ذلك بمدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، اللتان كان لهما أثر كبير في إرساء قواعد النحو العربي، نظرًا للمناقشات والمناظرات التي كانت تجري بين أصحاب هاتين المدرستين.

إنّ الدافع في تناول هذا الموضوع هو الأهمية التي يكتسبها هذا البحث، فهو موضوع يستحق الاهتمام، ولاسيما أنّه كلّما ذُكر النحو العربي، تذكر معه المدرستان البصرية والكوفية، نظرًا للعلم الواسع الذي يتمتع به كلّ من أعلام المدرستين، فهما دعامتان أساسيتان يقف عليهما النحو العربي.

ويدور موضوع بحثنا حول المناظرات النحوية ودورها في تنمية الفكر النحوي، خصوصا المسألة الزنبورية التي تعمقنا فيها. ولهذا طرحنا الإشكالية التالية: ما هو دور المناظرات النحوية في إثراء الدرس النحوي؟.

تتبع من الإشكالية أسئلة متعددة منها:

- في ما تمثلت هذه المناظرات؟

- ما هي دوافعها؟

- ما هي أهم هذه المناظرات؟

- ماذا قدمت هذه المناظرات من جديد للدرس النحوي؟

ونظرا لأهمية هذا الموضوع وقع عليه اختيارنا، وذلك من أجل معرفة أهم هذه المناظرات والمناقشات التي حدثت بين العلماء، خاصة بعد أن وجدنا في بعض المصادر دافعا للمضي قُدماً في هذا البحث.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي، وقسمنا البحث إلى:

مقدمة، وفصلين، وخاتمة، حيث تناولنا في الفصل الأول موضوع المناظرات النحوية، من خلال التطرق إلى مفهومها وأنواعها، ثم دوافع المناظرات وأهميتها.

أمّا في الفصل الثاني فكان لعرض هذه المناظرات وأحداثها.

وفي الأخير ختمنا بحثنا بحوصلة عامة للموضوع، تضم أهمّ النتائج التي توصلنا إليها.

وفي بحثنا هذا اعتمدنا على مختلف المراجع أهمّها: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للأنباري، وفنّ الحوار والمناظرة في الأدبين الفارسي والعربي في العصر الحديث لمحمد آدم الزاكي.

وكلّ بحث علمي صادفتنا بعض الصعوبات المتمثلة أساسا في نقص بعض المصادر التي لم نجدها في المكتبات، كما أنّ مواضيع المناظرات متفرقة ومتشعبة في مختلف الكتب والمراجع، وذلك يستدعي التدقيق والبحث فيها، ما استوجب منا مدة طويلة.

التصميم

لقد خلف الأوائل من اللغويين والنحويين العرب تراثا نحويا عملاقا، يستحق الثناء والتقدير، وذلك لما اشتمل عليه من مجهودات ضخمة في تتبع ما يتصل بالجملة العربية، وبيان ما يندرج تحتها من قواعد في ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر بألوانه المختلفة، وفنونه المتنوعة والأقوال المأثورة.

وقد بدأ الاهتمام بالتأليف في العلوم اللغوية، كالنحو والصرف والعروض والمعاجم، وجمع ألفاظ اللغة من السنة الأعراب و البوادي في مرحلة مبكرة من الحياة الفكرية عند العرب، فقد عرفت الدراسات اللغوية حركة كبيرة ونشاطا متواصلا، إذ ظهر العديد من الجهود الجادة التي حاولت بعث درس اللغوي إلى حالة النشاط والاستمرار، ورأى النحاة أنه من الضروري جعل النحو العربي مواكبا لمختلف التطورات، ومن هنا شرعوا في إقامة حركة من الأبحاث والدراسات التي تصب كلها في هذا الغرض من أجل المحافظة على اللغة العربية من جهة، ومن جهة أخرى البحث عن أهم المرتكزات التي قام عليها درس النحوي، فالنحو هو أساس اللغة العربية وبه يمكن فهم لغة القرآن الكريم، ولغة الحضارة العربية التي كانت منبع نور ومعرفة للعالم أجمع، فساروا في طريقهم غير آبهين بالصعوبات التي يتعرض لها كل من سار في هذا الطريق، لأن مثل هذه الأبحاث تحتاج إلى إرادة قوية من أجل الوصول إلى القيمة وتحقيق النجاح، فمعظم البحوث النحوية عالجت موضوع النحو البصري والكوفي، وأهم المناقشات التي جرت بين علماء هاتين المدرستين.

وكانت للدراسات النحوية شأن عظيم وشهرة واسعة النطاق، جعلت الحكام والأمراء، والولاة يتسابقون في ما بينهم، وهذا ما جعل بعض العلماء يتجهون إلى دراسة النحو دراسة دقيقة ومعقدة، متكئين في ذلك على الشواهد والأمثلة التي تعضد آراءهم وتوافق مذاهبيهم.

فالنحو دعامة العلوم العربية وقانونها الأعلى، منه تستمد العون وتستلهم القصد، وترجع إليه في جليل مسائلها، وفروع تشريعاتها ولن تجد علما منها يستقل بنفسه عن النحو، أو يستغني عنه، أو

يسير بغير قواعد وأسس، وهذه العلوم على عظيم شأنها، فإنه لا سبيل إلى استخلاص حقائقها والنفاذ إلى أسرارها بغير هذه العلم، فلا يمكن أن ندرك كلام الله تعالى، ونفهم أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصول العقائد وغيرها من المسائل الفقهية والبحوث المختلفة إلا بإيهام النحو وإرشاده.

ويعدّ الإعراب أحد فروع علم النحو، وقد أشار علماء البلاغة والتفسير والقراءات وغيرهم، إلى أن الإعراب من العلوم الجليلة التي اقتص بها العرب، فهو الذي يميز المعاني ويبينها، ويظهر أغراض المتكلمين.

وقد تكوّنت من هذه الدراسات النحوية مدارس اشتهرت بأعلامها ومناهجها، وتركوا بصمتهم إلى يومنا هذا، ووصلوا إلى قممها على يد علماء البصرة، وبعدهم علماء الكوفة، ثم علماء بغداد بالإضافة إلى مصر والشام والأندلس، لهذا بدأت الرحلات العلمية تتولى على هاتين المدرستين البصرة والكوفة وذلك في القرن الثاني الهجري. حينما ظهرت العلوم النحوية مستقلة، وبفضل هؤلاء العلماء انتشر النحو وازدادت مكانته، فأقبل الطلاب على دراسته والتعمق فيه لفهم قواعده ومعانيه.

الفصل الأول: في المناظرات العلمية وعوامل نشأتها

- مفهوم المناظرة.
- أنواع المناظرات.
- أهمية المناظرات.
- تأثر النّحاة بنزعة الجدل.
- العوامل المشجّعة للمناظرات.

1) مفهوم المناظرة:

أ- تعريف لغوي:

اشتقت كلمة «مُنَاطِرَةٌ» من الفعل «نَاطَرَ» المؤلّف من أربعة أحرف بزيادة حرف على الأصل

الثلاثي «نَظَرَ».

وفي علم الصرف العربي نجد أنّ الصيغة (نَاطَرَ) تعني:

وجود شخصين يشتركان معا في أداء عمل واحد في الوقت نفسه.

كما تعني أيضا:

المنافسة بين هذين الخصمين، فالفعل (سابق) مثلا، يعني:

اشتراك شخصين في الفعل نفسه وفي الوقت ذاته، كما يعني أيضا: التنافس بينهما.

وإذا أضفنا حرف على الفعل (نَاطَرَ) ليصبح (تَنَاطَرَ: تَفَاعَلَ) ومصدره القياسي: تَفَاعَلَ أو مُفَاعَلَةٌ،

فإنّ الفعل بالإضافة إلى المعاني السابقة يدلّ على وقوف شخصين واحدا أمام

الآخر. (الصديق، 2000، ص58).

المُنَاطِرَةُ: مُفَاعَلَةٌ، من النظر، لأنّ كلّ واحد ينظر ويفكر في ما يفلح به على صاحبه.

وقيل: هو من النَظِيرُ وهو المِثْلُ.

فمعنى المُنَاطِرَةُ المُمَاتَلَةُ في ما هم فيه، لأنّ كلّ واحد منهما نَظِيرُ لصاحبه في النظر. (الموصلي،

دت، ص62).

يُعرّف العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت.771هـ) في

معجمه لسان العرب المُنَاطِرَةُ بأنّها:

أنّ تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا، كيف تأتياه.

والتَّظِيرُ: المِثْلُ.

وقيل المِثْلُ في كلِّ شيءٍ، وفلان تَظِيرُكَ أي مِثْلُكَ، لأنَّ إذا نظرا إليهما الناظِرُ رأهما سواءً.

وتَظِيرُكَ: الذي يُنَاطِرُكَ وتُنَاطِرُهُ.

ويقال: نَاطَرْتُ فلانا أي صِرْتُ نَظِيرًا له في المَخَاطَبَةِ.

ونَاطَرْتُ فلانا أي جعلته نظيرا له. (ابن منظور، دت، ص217).

(ب) المفهوم الاصطلاحي:

أول من صاغ تعريفا كاملا لكلمة «مُناظرة» بالمعنى الاصطلاحي هو: علي بن محمد

بن علي المعروف بالجرجاني (ت.816هـ)، في كتابه المشهور «التعريفات» حيث يقول:

المُناظرة:

لغة: من التَّظِيرِ ومن التَّنْظَرِ بالبصيرة.

اصطلاحا: هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهارًا للصواب. (الجرجاني، دت،

ص184).

(ج) المفهوم العلمي:

إنَّ مصطلح «مُناظرة» كان يستخدم للدلالة على نص صغير أو كبير يعرض حوارًا بين

شخصين وأحيانا أكثر، كلٌّ من الاثنين يخالف الآخر في الموضوع المطروح للمناقشة.

هذا الحوار يدور دائماً في حضور أشخاص آخرين يختلف عددهم، كما تختلف أيضاً مراتبهم. فهم

أمراء أو خلفاء أو وزراء أو موظفون كبار في الدولة، أو علماء وقد يكونون أيضاً من عامة الناس.

وبحسب اختلاف الجمهور يختلف المكان الذي تدور فيه المناظرة، فمن دار الخلافة أو قصور

الأمراء أو مجالس الوزراء إلى مجالس العلماء في المساجد أو دكاكين الوراقين في الأسواق.

إضافة إلى أنّ الموضوعات المطروحة في هذه المناظرات مختلفة، تغلب عليها موضوعات علم الكلام، لكنّها تشمل الموضوعات الاجتماعية والأدبية والفنية والسياسية والثقافية عموماً. (الصدّيق، 2000، ص63).

ففنّ المناظرة عبارة عن حوار يدور في الأغلب بين شخصين، لكلّ واحد منهما وجهة نظر مختلفة حول موضوع ما، ويحضر جمهور من النّاس ولا تقتصر المناظرة فقط على العلماء، وإنّما تمتد أيضاً إلى الأمراء والوزراء، أو إلى عامّة النّاس، وتدور أحداث المناظرة في القصور أو المساجد وخاصة في الأسواق، كما أنّ لها مواضيع متعددة كالمواضيع الأدبية والفنية والسياسية والثقافية والاجتماعية.

(2) فنّ المناظرة:

لقد عرّف ابن منظور فنّ المناظرة بما يلي:

“المناظرة أن تُناظر أخاك في أمر إذا نظرتما إليه معاً كيف تأتيانه”.

تتناظر القوم في الأمر، تجادلوا وتراوضوا.

المُناظِرُ: المُجَادِلُ.

كقوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾. [سورة الكهف، الآية 56].

(الحمزاوي، 2001، ص4).

فنّ المناظرة مشرقى الأصل أخذه العرب عن الفرس، نشأ نشأة بسيطة في بدايته، ثمّ بلغ ذروته بعد ظهور الإسلام، فقد تولّى العلماء مهمّة الدفاع عن مبادئ الإسلام ضد خصومه، فتسلّحوا بما هو كفيّل بردّ الحجة لغيرهم ودحض فكرتهم، وقد اتّخذت المناظرات أشكالاً ومضامين مختلفة، فبعضها تتعلق بالمدح وبعضها الآخر على شكل مناظرات دينية تعليمية وتوجيهية، وقسم آخر يدور بين الشيء ونقيضه حتى أصبح فنّاً قائماً بذاته. (الحمزاوي، 2001، ص4).

ففنّ المناظرة لم يظهر عند العرب، وإنما أخذوه عن الفرس، فلم يشتهر في البداية، ولكن سرعان ما تطوّر وبلغ مكانة رفيعة بعد ظهور الإسلام، لتعدد المواضيع العلمية والدينية، وللمناظرة أنواع وأشكال مختلفة. فمنها ما تتعلق بالمدح و الشكر والثناء. والبعض الآخر تحمل في طياتها النصيح والإرشاد، والبعض الآخر تعليمية وتنقيفية.

• شروط المناظرة:

- أن تكون بين خصمين متضادين أو متباينين في وجهة نظرهما، لكلّ منهما أفكاره الخاصة به.
- أن يحشد كلّ خصم من الأدلّة والبراهين ما يدحض به مزاعم خصمه لينتصر لما يذهب إليه، من قول أو فعل ويحطّ من رأي خصمه.
- أن يهدف كلا المتخاصمين إلى تنميق حجّته وترتيب أدلّته، بحيث يستميل السامع أو القارئ حتى تُقوي في نفسه الرغبة في إيجاد الحلّ وإنهاء الخلاف. (الحمزوي، 2001، ص5).

المناظرة شكل من أشكال الخطاب العام، وهي عبارة عن مواجهة بلاغية بين لامتحدّثين اثنين، أو أكثر حول قضية معينة ضمن وقت محدد، فالمناظرة نقاش رسمي يدور حول قضية معينة ويتمّ في جلسة عامة، تقدّم فيها حجج متعارضة أو متصادمة وغالبا ما تنتهي بتصويت من الجمهور أو لجنة التحكيم، يفضي هذا التصويت إلى ترجيح كفة حجج أحد الطرفين وتشمل المناظرة متحدّثين أفرادا أو فوفا. كما تخضع المناظرات لأصول وقواعد معينة حيث تعرض قضية المناظرة على الفريقين المتناظرين، ويمنح كلا الفريقين وقتا محددًا لتقديم حججه وإثباتاته، وبناء على ما سبق فالمناظرات تجري في جوّ منظمّ يقدم فيها متحدّثو كلا الفريقين حججه والدفاع عنها.

وتختلف أساليب المناظرات والصيغ المتبعة فيها بشكل كبير من مسابقة إلى أخرى، وعلى الرغم من هذه الاختلافات إلاّ أنّه ثمة سمات عديدة تتقاسمها المناظرات المختلفة. فبالرغم من أوّل القضايا التي تطرح للنقاش في المناظرات قد تتناول مواضيع لا حصر لها، غير أنّ معظم هذه المناظرات تعالج قضايا مثيرة للجدل وتشدّ انتباه الجمهور وتشدّ اهتمامه. كما يتيح البعض من

المناظرات فرصة للجمهور للمشاركة والانخراط في مجرياتها، حيث يتسنى لمتتبعي المناظرة طرح أسئلة على المتناظرين للاستفسار عن تساؤلاتهم.

3) أنواع المناظرات:

أ) المناظرات الدينية التعليمية:

هذا النوع من المناظرات عبارة عن مناقشات تجري بين أصحاب المذاهب والطوائف الدينية والفكرية، فكل واحد يدلي برأيه باستعمال الحجة، فكان الهدف من هذه المناظرات التعليم والوعظ والتوجيه الصحيح، واتخاذ العبرة والدروس المفيدة، وفيها يتمكّن العالم من نقل المعلومات والآراء والأفكار بأسلوب علمي سهل وممتع حتى تتحقق الفائدة المرجوة. (الحمزاوي، 2001، ص40).

مثل: المناظرة التي جرت بين أبي عمران الفارسي وفقهاء القيروان، وموضوع هذه المناظرة حول الكفار. هل يعرفون الله تعالى أم لا؟ فوقع فيها اختلاف كثير، وتنازع بين العلماء. وعظمت هذه المناظرة حتى كثر عليها الجدل في الأسواق. (عبد الله كنون، 1960، ص366).

ب) المناظرات الأخلاقية التوجيهية:

تتناول قضايا ومواضيع تتعلق بالحياة العامة من سلوك وأسلوب الحياة، وكيفية التعامل بين الناس مثل الدعوة إلى تهذيب النفوس والتطبع بالأخلاق الحسنة والتمسك بالإيمان والفضيلة، والبعد عن المساويء، فلا ينبغي أن يتخلّى الناس عن مبادئهم وأخلاقهم مهما كانت الظروف المحيطة بهم. (الحمزاوي، 2001، ص40).

مثل: مناظرة المهدي بن تومرت لعلماء مراکش: حدثت عندما جمع علي بن يوسف مجلساً من علماء المغرب والأندلس ليناظروا المهدي بن تومرت، فقال له القاضي: ما هذه الأقوال التي تنقل عنك في حقّ الملك العادل، المنقاد إلى الحقّ والمؤثّر لطاعة الله؟ فقال ابن تومرت: إنّ ما نقل عني قد قلته حقاً، ولي من ورائه أقوال أخرى. أمّا قولك إنّ ملككم عادل منقاد للحقّ مؤثّر طاعة الله، فهذه أقوال تقولونها وتنصرونه مع عملكم بأنّ الحجة متوجّهة عليه، فهل بلّغك يا قاضي أنّ

الخمير تباع في هذه الديار جهازًا، وأنّ الخنازير تمشي بين المسلمين، وأنّ أموال اليتامى تؤكل ظلمًا وعدوانًا؟، وعدّد من ذلك جميع المنكرات التي رآها. فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياذًا، فسكت علماء السوء ولم يتكلم منهم أحد. (كنون، 1960، ص 390).

ج) مناظرات في مدح السلاطين والأمراء:

وهذا النوع من المناظرات يحمل في طياته مدحًا للسلاطين والأمراء، وذكر الناس بفضائلهم عليهم، ولعل مرجع ذلك إلى رعاية الأمراء والحكام فقد كان كلّ منهم يحرص على أن يجمع في بلاطه عددًا من العلماء والشعراء ويغدق عليهم الأموال والهدايا، ومقابل هذه الهبات، كان يتوجب عليهم مدح هؤلاء السلاطين ووصفهم بالصفات الحميدة والنبيلة.

ولعلّ شعر المتنبي من الأسباب التي جعلت سيف الدولة يُشتهر، وقد ذاع صيته على مر التاريخ، من خلال الصفات الحميدة التي وصفها به، ومقابل هذا المدح والثناء، كانت مكافأته كبيرة من خلال المال والهدايا الكثيرة، لذا نجد أنّ الأمير سيف الدولة، كلّما نبغ عالم في مجال ما استدعاه وأكرمه وقربه إليه. (الحمزاوي، 2001، ص 30-31).

د) مناظرات في نقد أوضاع المجتمع:

تقوم على تقديم النقد اللاذع لكلّ من يفضل مصلحته على مصلحة العامّة، فهي تهدف إلى الحفاظ على مصلحة الناس، قبل الاهتمام بالمصلحة الخاصة، والحثّ على مقاومة الحكام المستبدين، واسترجاع الحقوق الضائعة والإخلاص للوطن، والدعوة إلى التصدّي للحكام والطغاة المستبدين، من أجل تكوين دولة قوية قائمة على العدل والمساواة. (الحمزاوي، 2001، ص 73).

مثل: مناظرة السلطان زيدان بن المنصور الذهبي للشيخ يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي، وهذه المناظرة تعطينا صورة من الصراع العنيف الذي كان يدور بينهما، وهو صراع بين الأفكار المجردة والواقع السياسي. ومثلت هذه المناظرة في شخصية الشيخ المذكور معارضة سياسية جريئة، فإنّها تمثل في شخصية زيدان حكومة متبصرة عظيمة الثقة بنفسها. (كنون، 1960، ص 392-393).

من خلال كلّ هذا نجد أنّ مواضيع المناظرات متعددة ومختلفة، فهناك مناظرات تعليمية تقوم أساساً على التوجيه والتعليم، وتقديم الدروس في مختلف العلوم كالفقه والتاريخ وغيرها من العلوم، أمّا المناظرات الأخلاقية فهي موجهة بالأساس لعامة الناس، من خلال تقديم النصائح والبعد عن المساوئ والعادات السيئة كالسرقة، الرّبا، الرشوة وتجنب كلّ ما يؤدي إلى الانحراف والضياع.

أمّا مناظرات مدح السلاطين فهي خاصة بالأمرء والحكام، وأصحاب الأماكن المرموقة، فيقوم الشعراء بوصف الحكام والوزراء بأجمل الصفات الحميدة كالصدق والكرم والشجاعة، ومدحهم بفضائلهم وإنجازاتهم، ومقابل هذا المدح كانوا يقدّمون عليهم الأموال والعطايا الكثيرة.

بالإضافة إلى هذه هناك أيضاً مناظرات في نقد أوضاع المجتمع، من خلال ما يعيشه الفرد في مجتمعه. سواءً تعلق الأمر بالقضايا الاجتماعية أو القضايا السياسية، ومحاولة معالجة المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع بطريقة سليمة.

إنّ كلّ هذه الأنواع من المناظرات بالرغم من اختلاف محتوى كلّ واحدة وأهدافها، إلاّ أنّ هناك شيئاً مشتركاً يجمع بينهما، ألا وهو التعليم والإرشاد والنصح والتّحلي بالأخلاق الحسنة، فهي تصبّ في مجرى واحد وهو تحقيق المصلحة العامة للنّاس، وهي تساعد المتعلّمين على إدراك دور وأهمية الحجج المنطقية والأدلة.

4) أهمية المناظرات:

يمكننا القول بصفة عامّة، إنّ المناظرات كانت أحد العوامل الأساسية التي أسهمت في توليد الأفكار الجديدة، والتّعمق فيها. كما ساعد على ذلك ما يقدمه الأمرء والوزراء من مدّ يد العون والمساعدة للعلماء والأدباء، بحيث كان مجالسهم أماكن تجري فيها المناظرات بين الأدباء والفلاسفة والعلماء، ممّا أدى إلى إذكاء روح المناظرة فأصبحت مجالاً لإثبات القدرة الفنية والبراعة العقلية.

لم تقتصر مجالس المناظرة على قصور الخلفاء، وإنما امتدت إلى الجامعات ومعاهد العلم وبيوت العلماء، وحتى في الأسواق، فقد كانت أسواق مكة في الجاهلية ملتقى للعلماء والشعراء والخطباء وأصحاب الدعوات المختلفة، ومناقشة المسائل الدينية كوحداية الله تعالى والنّبوة وغيرها من المسائل التي أثارت اهتمام العلماء. (الحمزوي، 2001 ص465).

وقد أصبح علماء المسلمين يتخذون من المناظرة وسيلة للتسلية والترويح عن النفس، ومثال ذلك أنّ الشعراء كانوا يتخذون من سوق المريد مسرحاً لها، فيذهب الشعراء هناك ويجتمع الناس حولهم، ليروا من تكون له الغلبة على خصمه، فيتناظر الشعراء في ما بينهم. وكلّ واحد منهم يذكر محاسن ومفاخر قبيلته، بعد أن يدرس موضوعه دراسة دقيقة، ويبحث في أدلته ليوثقها، تجنباً للخطأ والإحراج، لذا عدّوها متعة أدبية، واهتموا بتحديد شروطها وآدابها.

كما أنّ للمناظرة فضل كبير في رقي التفكير، وتنمية العقول والأذهان وتقوية الحجة. إضافة إلى تعويد المتناظرين على الثقة بالنفس، والقدرة على المجادلة بطريقة منطقية. (الحمزوي، 2001 ص466).

وقد كانت المباحث الأولى للفقه الإسلامي، تقوم معظمها على المحاوراة والمناظرة، وقد ارتفع شأن المناظرات العربية نتيجة اتصال العرب بغيرهم من الأمم خاصة الفرس، فهم أوّل من عرّفوا بفنّ المناظرات.

ولقد عبّر أبو عبد الله محمد بن إدريس المعروف بالإمام الشافعي (ت.204هـ)، عن أدب المناظرة أصدق تعبير حين قال:

إذا ما كنت ذا فضل وعلم	بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظر من تناظر في سكون	حليماً لا تلج ولا تكابر
يفيدك ما استفاد بلا امتنان	من النكت اللطيفة والنوادر
وإياك واللّجوج ومن يرائه	بأنّي قد غلبت ومن يفاخر
فإنّ الشرّ في جنبات هزل	يمنى بالتقاطع والتدابير

يدعو الإمام الشافعي في هذه الأبيات الشعرية، المتناظرين إلى التقيّد بشروط المناظرة الصحيحة، فمهما كان العالم ملماً وعارفاً بما اختلف فيه أسلافنا وأجدادنا، وما توصل إليه العلماء المحدثون أن يراعي شروط وآداب المناظرة، وذلك بتجنب العصبية والتكابر، فيتحلّى بالهدوء والسكون، من أجل الاستفادة وإفادة الغير، والبعد عن الغضب، والتفاخر بالغلبة على الخصم. فهذه الأمور تتسبب في قيام خصومات ومشاحنات كبيرة بين العلماء، خوفاً على مكانتهم عند الخلفاء، فأدّت إلى انقطاع العلاقات بين المتناظرين.

ولذا فإنّ على العالم أن يبتعد عن كلّ هذه الصفات السيئة، فيتحلّى بالهدوء وتقبل الرأي الآخر بصدر رحب، وإثبات كلامه بالحجج والبراهين الصحيحة، وغرس ثقافة الحوار والتسامح بين المتناظرين أنفسهم وبين جميع الناس. فالعالم المتسامح هو مثال وقدوة لغيره من العلماء وأمّته، يحتذى بها في كلّ الميادين العلمية والسياسة والاجتماعية.

5) تأثر النّحاة بنزعة الجدل:

تأثر النّحاة في حياتهم العلمية عامّة، وفي مناظراتهم خاصة بنزعة الجدل، والتي ظهرت منذ وقت طويل، وقد تجسد الخلاف في المناقشات والمجالس العلمية بين العلماء، فمنها ما كان بين البصريين أنفسهم، أو بين البصريين والكوفيين، أو بين الكوفيين أنفسهم. وكان أول ما نشأ ذلك الخلاف في مدينة البصرة ثمّ امتدّ إلى بغداد، وقد ساعد على ظهور هذه النزعة عند علماء المسلمين، الانفتاح على حضارات الأمم، والالتقاء بالشعوب الوافدة إلى ديار الإسلام، وقد كان بعض هؤلاء أرباب ديانات وأصحاب أهواء، ممّا حمل علماء المسلمين على مجادلتهم ومناظراتهم، محتكّمين إلى العقل ومستخدمين المنطق والنظر، تسلحاً بمثل ما تسلح به أعداء الإسلام وخصومه. (الزاكي، 1984-1985، ص23).

وسرعان ما أخذ هذا المنهج يطغى على الدراسات المختلفة، منذ ظهور المعتزلة و احتاجوا إلى الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني، للردّ على خصومهم من أصحاب الملل والعقائد من غير المسلمين، وكان هؤلاء قد استكملوا أدوات الردّ عليهم بالمنطق، وكان الصراع والخلاف بين

هؤلاء والمعتزلة شديداً، والجدال بين الفريقين محتدماً، وكانت هذه الخلافات مستقيضة حول خلافات نحوية كانت بين النحاة أنفسهم، أو بين الشعراء والنحويين، غير أنّ أكثر الخلافات امتداداً كانت بين النحويين أنفسهم، التي استوعبت مجمل قضايا النحو. وقد أثرت هذه الخلافات كلّها على البيئات الدراسية تأثيراً واضحاً، تمثل في ظهور مدرسة الفقه القياسية، ومدرسة النحو القياسية، فليس بغريب على النحو والنحاة هذا التأثير، فإنّ النحو نشأ في ظلّ الدين، ووضع لخدمة نصوص القرآن والسنة، والنحاة منهم الفقهاء والمتكلمون، كما أنّ أهل المنطق قد ناظروا النحاة في علمهم وصناعتهم. (الزكي، 1984-1985، ص24).

ونجد أنّ النحاة تأثروا بهذا النهج الجدلي، وأخذوا منه بحظّ وافر، حيث ظهر ذلك في مناظراتهم ومناقشتهم لغيرهم من العلماء، ممّا مكنهم من المنافسة والمجادلة بطريقة علمية مقنعة، وتقديم تعليقات وتفسيرات للظواهر اللغوية المختلفة.

وقد ظهر حبّ النحاة للجدل وشغفهم بالمناظرات فيما تُحدثنا به كتب الطبقات من أنّ بعضهم كان يُعدّ نفسه لحلبة اللقاء المنتظر دوماً، ويروض تلاميذه لملاقاة الخصوم، وإنّ دعا ذلك لافتعال المناظرة.

فقد كان أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت.291هـ) يلقّن تلاميذه وأصحابه المسائل النحوية على طريقة المذهب الكوفي، ويدربهم على المناظرات، ويبعث بهم إلى ما ترشده نفسه أن يتصدّر حلقة، أو ينصب نفسه أستاذاً للتدريس في مساجد بغداد، وكان كثيراً ما يرُد قوم خرسان من ذوي النظر، فيتكلمون ويجتمع الناس حولهم، فإذا بصر به ثعلب أرسل من تلاميذه من يفتشهم، فإذا انقطعوا على الجواب، انفض الناس من حولهم، غير أنّ تلاميذ ثعلب التقوا مرة مع أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (ت.285هـ)، حين قدم بغداد فاستطاع أن يغلبهم ويقنعهم. (الزكي، 1984، ص25).

يرى كثير من العلماء أنّ استخدام أسلوب الجدل في المناظرة، وسيلة للإقناع والإفهام، ولتوضيح ما أشكل من قضايا العلم ومسائله، وإزالة الغموض والإبهام عن الكثير من المشاكل

التَّحْوِيَّةُ خاصَّةً، والعلمية بصفة عامَّة. ولو أنَّ هذا الهدف يسعى العلماء لتحقيقه عن طريق المناظرات والحوار واحتكاك الآراء، وتبادل وجهات النظر، ولكن بعض الجدل خرج عن تحقيق ذلك الهدف سواءً عند أهل المنطق أو النَّحاة، فكان الخلاف شديداً في نواحي عديدة، فجاءت بعض المناظرات في أسلوب جدلي انتقامي، فكانت قليلة النفع العلمي، وفقدت أهميتها، وكلَّ هذا ساعد على افتراق الأمة وتباعدها بسبب هذا الوضع، فانعكس على الدراسات اللُّغوية النَّحوية سلبيًا. (الزَّاكِي، 1984، ص27.26).

6) العوامل المشجِّعة للمناظرات:

أ- دور العلماء والخلفاء في إنكاء روح المناظرة:

اهتمَّ الأمراء والخلفاء وولاءة الأمر بإقامة المناظرات، فكان لهم دور كبير في تشجيعها، وساهموا في إنكاء روح الحوار بين النَّحاة، وكان تشجيعهم لمناظرات العلماء ومجالسهم من أقوى الدوافع لظهورها واستمرارها، وذلك لأنَّه فوق اهتمام الخلفاء بتشجيع العلم وتكريم العلماء الذين عرفوا به واشتهروا عنهم، فإنَّه مع هذا كان من الخلفاء من يهتم بالنَّحو والنَّحاة اهتمامًا خاصًا وكبيرًا. (الزَّاكِي، 1984، ص15-16).

كان هارون الرشيد يصطحب معه عبد الملك بن قُرَيْب المعروف بالأصمعي (ت.216هـ)، وعلي بن حمزة المعروف بالكسائي (ت.189هـ)، حتَّى كانا ملازمين له يقومان بمقامه، ولهذا اقترب كثير من النَّحاة من مجالس الخلفاء وتسابقوا إلى القرب منهم، وتنافسوا في ما بينهم، فشجَّع هذا التنافس الأمراء، كما أنَّ ولاءة الأمر وجدوا في إقامة المناظرات سبيلا لإنصاف العلماء، وفي الحوار بينهم وسيلة لاختيار النوابغ منهم، ليكونوا معلِّمين ومؤدِّبين لأولادهم، أو لمجالستهم ومسامرتهم، فإنَّ مجالس المناظرات فيها مجال فسيح لإبراز المواهب والقدرة العلمية، وإظهار الفضل بما يكون فيها من امتحان العلماء بعضهم البعض، فمن تفوَّق منهم نال الشكر والثناء وعلا مكانة واكتسب الشهرة، وكان نصيب غيره الحرمان. (الزَّاكِي، 1984، ص17-18).

ولهذا فقد استعدّ النّحاة للمناظرات بما يمكنهم من الردّ على خصومهم، وتسلّحوا لملاقاة الأفاذ في حلقات البحث، طمعا في الاقتراب من الخلفاء وحفاظا على مكانتهم، وتقليد مناصب حكومية ولاسيما العليا فيصبحوا من كبار الأشراف والأغنياء، ويتمتعوا بمكانة عالية حتّى عند الخليفة، وخوفًا من السقوط في فخ الخطأ والحرمان، فإنّ زلة واحدة في مجلس الأمير كافية لضياع كلّ مجد أو أمل.

ولهذا فقد كانت المناظرات وسيلة لإبراز القدرة العلمية من جهة، ووسيلة للشهرة والمكانة والوصول إلى قصور السلاطين والأمراء من جهة أخرى، من أجل تحقيق الربح السريع.

وهناك قضية مهمّة لابد من الإشارة إليها في إيجاز، تتمثل في:

تشجيع الخلفاء وولاية الأمر للنّحاة، ويرى بعض المؤرخين والباحثين أنّ نصيب الكوفيّين من هذا التشجيع وتلك العناية كان كبيرًا، حتّى ذهب بعضهم إلى أنّه السبب الرئيسي في انتصار الكوفيّين على البصريّين في مسائل كثيرة، نظرًا للتشجيع الذي قدّمه الخلفاء للكوفيّين، ولعبوا دورًا مهمًا في تفضيل النّحاة بعضهم على بعض. (الزّاكي، 1984، ص 18).

وقد كان للدراسات النّحوية شأن عظيم وشهرة واسعة، حتّى إنّ بعض العلماء الذين نبغوا في مواد أخرى غير النّحو يتجهون إليه، ولم يقفوا عند هذا الحدّ بل أسهموا في هذه الدراسات بمؤلفات لغات تجمع شتاتها، وتوضح مسائلها، وقد تكونت من هذه الدراسات النّحوية مدارس اشتهرت بأعلامها ومناهجها، كمدرسة الكوفة، ومدرسة البصرة. وضمن هذه المدارس ظهر علماء ونقاد في اللّغة والنّحو، ونظرًا للأهمية والعناية التي قدّمها الخلفاء والأمراء للعلماء، فإنّ احتضان العباسيّين للكوفيّين هو الذي رفع من شأنهم عند أنفسهم، بحيث تمكّنوا من منافسة البصريّين في مناظرات عديدة، وبهذا تمكّنوا من وضع علم خاص بهم في النّحو، وساهموا به في تكوين دولتهم.

نقل عن أبي حاتم بن محمد السجستاني (ت. 255هـ) «لولا أنّ الكسائي ما اقترب من الخلفاء، فرفعوا ذكره لم يكن شيئًا وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل». (الزّاكي، 1984، ص 19).

وقد اتخذ بعضهم من انتصار الكسائي على سيبويه في المسألة الزنبورية دليلاً على تشجيع ولاية الأمر للكوفيّين إلى حد بعيد، قالوا في نشأة النّحو: «وفي حادثة سيبويه الماضية التي كان فيها القضاء عليه ما يشهد بتأمرهم ومناصرة العباسيين لهم». (الزّكي، 1984، ص20).

من خلال كلّ هذا يظهر لنا أنّ الكوفيّين كانوا أسرع اتّصالاً بالبلاط في بغداد مقارنة بالبصريّين، فالكوفيّون تولوا مسؤولية تأديب أولاد الخلفاء وتعليم الأمراء. وتمكّنوا من كسب مكانة مرموقة عند الخلفاء.

(ب) حبّ العلماء للمناظرات والرغبة في التّكسّب:

كانت هذه المناظرات بُرْهاناً قوياً على نموّ الحركة النّحوية واللّغوية، بسبب تشجيع الخلفاء وتقديم الجوائز للعلماء ما جعل المنافسة تشدّد بينهم، لهذا كانت هناك مناظرات حادة بين العلماء، مثل المناظرة التي حدثت بين أبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت.337هـ)، وبين أبي الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي المعروف بالمتنبي (ت.354هـ). فإنّ ابن خالويه يعدّ من أكبر الأئمة في اللّغة والنّحو، وقد أدّت هذه المناظرة إلى انقسام العلماء إلى قسمين، قسم يؤيّد ابن خالويه، وقسم يؤيّد المتنبي. وكانت للعلاقات السيئة بينهما أثر كبير في حدّة هذه المناظرة، فالعلاقة بينهما لم تكن حسنة، لأنّ المتنبي لم يقدر علمه التقدير الجليل، وابن خالويه لم يقدر شعره التقدير الواجب، ثمّ كانا يتحاسدان ويتغايران على قرب المنزلة من سيف الدولة. (سالم مكرم، 1980، ص24).

وقد كانت هذه المناظرات سبيلاً من سبل التّكسّب والريح، فإنّ لهذه المسائل العلمية النّحوية قيمة كبيرة، فكانت لا تبذل إلاّ بقدر كبير، وثمر غير قليل، فالإجابة عليها تقتضي ثمناً كبيراً، وكلّ عالم يصب في مسألة نحوية أو علمية ينال عليها أجره مالية.

«سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته يوماً:

هل تعرفونا اسماً ممدوداً وجمعه مقصور؟ فقال ابن خالويه: إني أعرف اسمين، لا أقولهما إلاّ بألف درهم، لنألا يؤخذ بلا شكر، وهما صحراء وصحاري، وعذراء وعذارى». (مكرم، 1980، ص26).

وهذا دليل على أنّ لهذه المناظرات التّحوية فضل كبير في الارتقاء بالتّحو إلى درجات التطوّر، فقد كانت سبباً في تقدّمه، ولهذا كانت تعقد في قصور الخلفاء والأمراء بين العلماء وأرياب الفكر والعقول الراقية لتجود القريحة ويكثر الإنتاج وتشتد المنافسة بينهم.

(ج) الافتخار والتباهي بالنفس:

هو أمر غريزي وطبيعي، فكلّ واحد يسعى إلى أن يكون هو في المقدمة ويكتسب مكانة، ممّا جعل الإلمام بمسائل هذا العلم سبباً من أسباب الفخر، وسبيل من سبل المباهاة. فكلّ واحد من هؤلاء العلماء يسعى لإثبات ذاته وقدرته على أقرانه، وذلك من خلال مناقشة خصومه بطريقة علمية مقنعة، وإظهار موهبته أمام الحضور، وإقناعهم بالحجج والبراهين الصحيحة.

وعلى الرغم ممّا في هذا التنافس من كسب للعلم والمال باجتهاد العلماء في تحصيله، وجمع مسائله وقضاياها، إظهاراً للقدرة العلمية، والتفوق على الأقران وحُباً للغلبة. إلاّ أنّه ترك في نفوس بعض العلماء آثاراً غير حميدة، لأنّ الأحكام كانت في بعض المواقف غير عادلة، فإنّ إصابة عالم للحق في مسألة واحدة كافية لرفع شأنه، كما أنّ زلة واحدة في قضية ما تكفي لضياع أمره وسقوط مجده. (مكرم، 1980، ص24-25).

وقد وصف لنا أبو سعيد الحسين بن عبد الله بن المرزيان المعروف بالسيرافي

(ت.368هـ) هذه المناظرات حين قال:

«فإنّ العلم المصون من الصدر، غير العلم في هذه المجالس على الأسماع المصغية والعيون المحدقة والعقول الحادة، والألباب الناقدة، لأنّ هذا يستصحب الهيئة والهيئة مكسرة، ويجتلب الحياء، والحياء مغلبة، وليس المبارز في معركة خاصة، كالمصارع في بقعة عامة». فهذه المجالس العلمية تجمع بين العلماء وأصحاب العقول الناقدة، لتبادل المعارف والآراء، وهذا ما يستلزم وجود الهيئة والشجاعة لملاقاة الخصوم، بعيداً عن الحياء والخجل والتردد، لأنّ هذه الأمور قد تترك المتناظرين، فيخرجون عن الصواب، فالذي يتنافس مع غيره في مكان خاص بمفرده مع

خصمه، ليس كمن يتنافس مع غريمه أمام جمهور كبير من الناس، فعليه أن يحترس من الوقوع في الخطأ وبالتالي يؤدي ذلك إلى ضياع هيئته وشخصيته أمام الناس. (الزاكي، 1984، ص18).

من هذا كله نرى أن الحكام وضعوا النحو نصب أعينهم، واهتموا به اهتماماً خاصاً، ولا أدل على ذلك من هذا الاهتمام البالغ الذي تجلّى في عقد المناظرات والمناقشات بين علمائه، لتروج مسأله ويعظم قدره، وترتفع منزلته، ويكفي فخراً أن هؤلاء الخلفاء قد نهلوا من مناهله، وكلّ هذا يدل على أن هذا العلم وصل إلى الذروة من المجد والتقدير. (مكرم، 1980، ص27).

نجد أن الحكام والأمراء ساهموا بقسط كبير في الارتقاء بعلم النحو، من خلال ما قدموه من تشجيع للعلماء والباحثين، ممّا أدى إلى تطور المناظرات العلمية بصفة عامّة، والمناظرات النحوية بصفة خاصّة، من أجل ترويج المسائل النحوية وتعليمها للأجيال القادمة، فما كان على العلماء إلا أن يبحثوا ويتعبوا في سبيل البحث عن حلول لهذه المسائل من جهة، وكسب المال لينفقوا على أنفسهم، وهناك منهم من وصل إلى قصور الخلفاء والأمراء، وأصبحوا ملازمين لهم في كلّ الظروف، وبذلك تمكّنوا من تكوين مجدهم، وأصبحوا النموذج الذي يقتدى بهم.

ولكن بقدر ما استفاد العلماء من الأمراء والخلفاء، بقدر ما استفادوا هم أيضاً من هؤلاء العلماء، لأنهم بفضلهم تمكّنوا من معرفة الكثير من المسائل النحوية، وتعليم أولادهم أصول النحو العربي، وغيرها من العلوم الأخرى، فكلّ واحد منهم حاجته، فالعلماء يتمثل هدفهم في إثبات ذاتهم، والحصول على المال والأجر. أمّا الخلفاء والحكام فكان هدفهم الاستفادة من علم هؤلاء بما يمكنهم من تكوين دولة علمية قويّة، وبفضل كلّ هذه العوامل المشجعة، وصل إلى أعلى درجات التطور والازدهار.

(ذ) الاختلاف في الاتجاه النَّحوي:

تعتبر البصرة من القبائل الفصيحة التي لم تفسد لغتها بمخالطة الأعاجم، فكانت هذه القبائل تجتمع بسوق البصرة المشهور بالمرید، وذلك كما له من أثر في فصاحة أهل البصرة وسلامة لغتهم.

أما الكوفة فهي أقرب إلى الاختلاط بالأعاجم، ولغة أعرابها ليست لها سلامة لغة أعراب البصرة، وكان للكوفة سوق أرادت به محاكاة مرید البصرة وهي سوق كنااسة، ولكن لم يكن لها ذلك الشأن، فانصرف الكوفيون إلى رواية الشعر، فاعتمدوا على السماع.

• مفهوم السماع:

السماع:

هو الأصل الأوّل من أصول النَّحو، ويسمى النقل.

والسماع: مصدر سمعه، وسمع إليه، وله، ومنه سمعًا. وسماعًا إذا أدرك الأصوات بالحاسة المعلومة.

• مفهوم القياس:

القياس:

قال ابن الأنباري: «هو حَمْلُ غير المنقول عن المنقول، إذا كان في معناه».

اعلم أنّ القياس في وضع اللسان بمعنى التقدير، وهو مصدره:

قايست الشيء بالشيء مَقَاسَةً وقياسًا، ومنه المقياس. أي المقدار، وقَيَّسُ رُمح.

وهو في عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل.

وقد كان القياس المحور الكبير الذي يدور حوله الجدل والنزاع، بل يمكن القول إنّ جلّ المسائل الخلافية بين المدرستين يرجع إلى اختلاف وجهة نظر المدرستين في القياس.

فالبصريون جمعوا من أساليب اللّغة قدرًا كبيرًا، واستطاعوا أن يتّخذوا من هذه الأساليب قواعد عامّة لم يسمحوا لأحد أن يغيّر من أسسها، وكلّ كلام يجري على نسق هذه القواعد فهو كلام عربي سليم، ومن حاول من الكتاب أو الشعراء الخروج عنها عدّوا كلامه خطأ، لا يجري على سنن الأساليب الفصيحة، ومن هنا تشدّدوا في القياس فلم يقيسوا إلاّ على الكثير المسموع.

أمّا الكوفيون فكانوا أوسع نظرًا، لأنّهم لم يفرّقوا في جمع الأساليب اللّغوية بين قبيلة وقبيلة، لأجل هذا أباحوا لأنفسهم أن يقيسوا على القليل النادر، حتّى ولو كان القليل المسموع بيّنًا واحدا من الشعر. (السيوطي، 2006، ص 203-206).

كان قياس البصريين متميِّزًا عن قياس الكوفيّين، فهم يقيسون على لسان العرب الأوائل، وليس على كلّ لغات العرب.

كان البصريون لا يجيزون القياس على كلّ ما يسمع من لغات العرب، كما يفعل الكوفيون، بل كان قياسهم على لغات قبائل معيَّنة، خصّوها بالفصاحة ذلك أنّهم جعلوا السماع الصحيح أساس القياس عندهم، فإذا وافق القياس السماع الصحيح كان ذلك الغاية منه، وإذا خالف السماع الكثير القياس رجحوا جانب السماع على جانب القياس.

الفصل الثاني: نمذجة المناظرات النحوية

1 - مناظرة عيسى بن عمرو وأبي عمرو بن العلاء.

2 - مناظرة سيبويه والكسائي.

3 - مناظرة الجرمي والفراء.

4 - مناظرة ابن خروف والسهيلي.

5 - مناظرة بين أبي حاتم والتوزي.

1- مناظرة بين عيسى بن عمرو وأبي عمرو بن العلاء:

جواز إعمال ليس وإهمالها:

تمثلت أحداث هذه المناظرة في قدوم مولى خالد بن الوليد المخزومي المعروف بعيسى بن عمر (ت.149هـ)، إلى زيّان بن العلاء بن عمار مازني المعروف بأبي عمرو بن العلاء (ت.154هـ)، لكي يناظره في مسألة تحوية.

أ- زمانها:

جرت في القرن الثاني للهجرة.

ب- مكانها:

الحجاز.

ج- طرفاها:

الطرف الأول: عيسى بن عمر المعروف مولى خالد بن الوليد المخزومي .

الطرف الثاني: أبو عمرو بن العلاء المعروف زيّان بن العلاء بن عمار المازني.

د- جمهورها:

محمد يحيى بن المبارك المعروف باليزيدي (ت202 هـ).

أبو الحسن علي بن الحسن المعروف بخلف الأحمر (ت194هـ).

أبو المهدي، وجمهور من عامة الناس.

هـ- الدافع إليها:

إظهار القدرة العلمية وحب العالمين للمناظرات والمناقشات.

فكل واحد منهم يحاول إثبات قدرته على الجدل والتنافس.

و- موضوعها:

قال عيسى بن عمر:

يا أبا عمرو: بلغني أنّ هناك شيء تجيزه؟

قال: ما هو؟

قال: بلغني أنّك تجيز: «ليس الطيب إلا المسك» بالرفع.

فقال له أبو عمرو: نمت يا أبا عمرو، وأدلج الناس. ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع.

قال اليزيدي: ثم قال لي أبو عمرو: تعال أنت يا يحيى، وتعال أنت يا خلف اذهبا إلى أبي

المهدي فلقتاه الرفع، فإنه لا يرفع، واذهبا إلى المنتجع التميمي ولقتاه النصب فإنه لا ينصب.
(الزجاجي، دت، ص3).

قال: فذهبت أنا وخلف وأتينا أبا المهدي، فإذا هو يصلب وكان به عارض، وإذا هو يقول في الصلاة: إحسانا عني!

قال: ثم قضى صلاته والتقت إلينا، فقال: ما خطبكما؟

قلنا: جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب.

فقال: هاتيا.

فقلت له: كيف تقول: ليس الطيب إلا المسك؟

فقال: أتأمراني بالكذب على كبر سني، فأين الجادى؟

قال ابن حبيب: وحكى ابن الأعرابي، فأين بنة الإبل، وأين كذا وأين كذا؟

قال اليزيدي: فقال له خلف: ليس الشراب إلاّ العسل.

قال: فما يصنع سودان هَجَرَ، مالمهم شراب إلاّ هذا التمر.

قال اليزيدي: فلما رأيت ذلك منه، قلت له: ليس ملاك الأمر إلاّ طاعة الله تعالى والعمل بها.

قال: فقال: هذا كلام لا دخل فيه، ليس ملاك الأمر إلاّ طاعة الله تعالى والعمل به، فنصب.

قال اليزيدي: فقلت له:

ليس ملاك الأمر إلاّ طاعة الله تعالى والعمل بها، ورفعت.

فقال: لا، ليس هذا من لحن ولا من لحن قومي.

قال: فكتبنا ما سمعنا منه.

فقال: ألا أنشدكما أبياتاً قلتها حين سمعتُ تراطُن هذه الأعاجم حولي؟

قلنا: بلى، فأنشدنا.

يقولون لي شَبْدٌ ولست منشيداً

طوال الليالي أو يزول كبيزُ

ولا قائلاً زُوداً لأعجلَ صاحبي

ويستأنُ في صدرى على كبيزُ

ولا تاركاً لحنى لأحسن لحنكم

ولو دار صرفُ الدهر حيث يدورُ

(الزجاجي، دت، ص4).

فقال: فكتبنا هذه الأبيات ثم أتينا المنتجع فأتينا رجلاً يعقل.

فقال له خلف: ليس الطيبُ إلاّ المسك.

قال: فرفع، ولقناه وجهنا به في ذلك، فلم ينصب وأبى إلاّ الرفع.

قال: فأتينا أبا عمرو، فأعلمناه وعنده عيسى بن عمر لم يبرح.

قال: فأخرج عيسى خاتمه من يده ثم قال: لك الخاتم، بهذا والله فُقت النَّاسُ!. (الزجاجي، دت، ص5).

- التحليل:

هذه المناظرة جرت بين إمامين من أئمة العربية المتقدمين في «إعمال ليس وإهمالها»، في مثل قول العرب: «ليس الطيب إلا المسك».

فأبو عمرو يجوز الأمرين: إعمال «ليس» وإهمالها في مثل هذا التركيب. ويبلغ هذا الذي ذهب إليه أبو عمرو وعيسى بن عمر، فيذهب إليه في حضرة أصحابه مناظرًا مجادلًا، فهو لم يكن يعلم أنّ من العرب من يهمل «ليس» فيرفع الجزئين بعدها، في مثل قولهم: «ليس الطيب إلا المسك».

وقد عرف أبو عمرو بسعة الرواية والإحاطة بكثير من لغات العرب، وقد قرر لصاحبه أنّ «إعمال ليس» في مثل هذا التركيب ونصب خبرها، هو لغة الحجازيين جميعهم، وإنّ إهمالها ورفع الخبر بعدها هو لغة التميميين كلّهم. (الزّاكي، 1985، ص51).

- النتيجة:

يمكننا القول بصفة عامة إنّ أسلوب أبي عمرو أسلوب صحيح، وهو أسلوب يعتمد على تسجيل اللّغة من أفواه أهلها، واستقراء صنيعهم، ممّا يدعو إلى الاطمئنان على صحة القواعد القائمة عليه.

وعليه فإنّ القاعدة كما قررها أبو عمرو، وسبق به البيان هي: جواز إعمال «ليس» وجواز إهمالها في مثل هذا التركيب كلاهما قياسي وعلى الجادة.

2- مناظرة بين سيبويه والكسائي (المسألة الزنبورية):

من مسائل الخلاف التي جرت بين البصريين والكوفيين المسألة التي تدعى: «بالزنبورية» رقمها تسعة وتسعون في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الأنباري حيث جرت هذه المناظرة بين أبي بشر عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت.180هـ) إمام البصريين، وعلي بن حمزة المعروف بالكسائي (ت.189هـ) إمام الكوفيين. وكان ذلك على شكل مناظرة بحيث لم تتل أية مناظرة من مناظرات النحاة قديماً بمثل ما حظيت به هذه المناظرة.

وكانت هذه المناظرة محل اهتمام الدارسين الأقدمين في العصور المتعاقبة، واتخذوا منها موقفين هما:

الموقف الأول: مؤيد لرأي سيبويه إمام البصريين.

الموقف الثاني: مؤيد لرأي الكسائي إمام الكوفيين. (الشيخ عبدو، 2000، ص53).

(أ) زمانها:

حدثت أيام الرشيد، ويذكر بعضهم أن عمر «سيبويه» كان اثنين وثلاثين عاماً.

(ب) مكانها:

أقيمت بدار السلام ببغداد، واختلف هل حدثت في دار الخلافة بحضرة الرشيد، أم في دار يحيى البرمكي، إلا أن أغلب الروايات تذهب إلى أنها حدثت بحضرة الرشيد كما في رواية الزجاجي.

(ج) طرفاها:

الطرف الأول سيبويه وقدم بغداد للمناظرة تدفعه ثقة بالنفس، والطرف الثاني الكسائي، وأصحابه

أبو زكريا يحيى بن زياد (الفراء) (ت.207هـ)، وأبو الحسن علي بن الحسن (خلف الأحمر) (ت.194هـ). (الشيخ عبدو، 2000، ص54).

د) جمهورها:

حضرها جمهور كبير على رأسهم الرشيد، يحيى بن خالد، ابنه جعفر والفضل، وبعض الأعراب كأبي فقّس، وأبي زياد، وأبي الجراح، وأبي ثروان، وأبي دثار. (الشيخ عبدو، 2000، ص53-54).

هـ) الدافع إليها:

لما قدم الكسائي إلى بغداد التقى به وزير هارون الرشيد (يحيى البرمكي) فأعجب بالكسائي، فقام بأخذه إلى القصر ليعلم أولاده وأولاد الخليفة (الأمين والمأمون) اللّغة والنحو.

أما عن رحيل سيبويه من البصرة إلى بغداد فلم يكن يعلم بوجود الكسائي هناك، فلما سمع الكسائي بقدوم سيبويه خاف من أن يفقد منصبه، فقام بدعوة سيبويه إلى المناظرة فقبل، فلما دخل سيبويه إلى القصر وجد حشداً كبيراً من الناس في انتظاره. إضافة إلى أصدقاء الكسائي منهم الفراء، خلف الأحمر، وغيرهم. فتعجب سيبويه في ما رآه لأنّه يشبه فحاً نصبه له الكسائي، وبعد ذلك قام نحاة الكوفة يطرحون عدّة أسئلة لسيبويه، وكانوا يناقضونه في كلّ مرّة ليضعفوه ويدهقونه، وكان آخر سؤال طرح عليه من قبل الفراء هو:

كيف تقول العرب: «خرجت فإذا عبد الله القائم أو القائم».

فأجابه سيبويه: القائم بالرفع.

فقال له الفراء: أخطأت.

فقال له الكسائي: كيف تقول العرب:

«كنت أظنّ أنّ العقرب أشدّ لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إيّاها».

فردّ عليه سيبويه: «فإذا هو هي، ولا يجوز النصب». (الأنباري، 2007، ص209).

(و) موضوعها:

تقول العرب: «قد كنت أظن أنّ العقرب أشدّ لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إيّاها»، وهذا الأخير هو الوجه الذي أنكره "سيبويه" لما سأله الكسائي. لما قدم سيبويه على البرامكة، عزم يحيى بن خالد على الجمع بينهما، فجعل لذلك يوماً. فلما حضر سيبويه تقدم إليه الفراء، وخلف الأمر، فسأله الأمر عن مسألة فأجاب فيها فقال له: أخطأت.

ثمّ سأله ثانية وثالثة وهو يجيبه، ويقول له: أخطأت.

فقال له سيبويه: هذا سوء أدب.

أقبل عليه الفراء فقال له: إنّ في هذا الرجل حدّة وعجلة، ولكن ما تقول في من قال:

«هؤلاء أبونا» و «مررت بأبينا».

وكيف تقول: «وأيت» أو «أويت».

فأجابه: فقال له: أعد النظر.

ولما حضر الكسائي سأله كيف تقول: «قد كنت أظن أنّ العقرب أشدّ لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إيّاها»؟

قال سيبويه: «فإذا هو هي». ولا يجوز النصب.

فسأله الكسائي أيضاً عن أمثال:

«خرجت فإذا عبد الله القائم أو القائم».

فأجابه سيبويه: كلّ ذلك بالرفع أي (عبد الله القائم).

فقال الكسائي: العرب ترفع كلّ ذلك وتنصب.

فتدخل يحيى وقال لهما: قد اختلفتما وأنتما رئيس بلديكما، فمن يحكم بينكما. (السامرائي، 2007، ص58-59).

ومن الملاحظ أن مسألة الخلاف بين الطرفين تكمن في الاسم الواقع بعد «إذا الفجائية» هل يرفع أم ينصب أم كلاهما؟

- رأي البصريين:

حسب ما قاله «سيبويه»:

«قد كنت أظن أن العقب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي».

البصريون أخذوا برأي سيبويه الذي قال بالرفع فقط، أما القياس عندهم فإنه لا يجوز النصب لأن:

هو مرفوع بالابتداء لا بد للمبتدأ من خبر فوجب أن يقال «فإذا هو هي».

الضمير «هو» راجع إلى الزنبور لأنه مذكر والضمير «هي» راجع إلى العقب لأنه مؤنث.

قال سيبويه بالرفع لأنه الوارد في القرآن الكريم لقوله تعالى:

﴿ قَالَ أَقْبَاهَا يَا مُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ سورة طه، الآية 20.

قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ﴾ سورة الأعراف، الآية 118.

قوله تعالى: ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ ﴾ سورة الأنبياء، الآية 97. (الدسوقي، 2007، ص247).

الإعراب:

«فإذا هو هي».

حسب رأي سيبويه:

الفاء: لازمة لإذا الفجائية.

إذا: فجائية لا محل لها من الإعراب.

هو: ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ.

هي: ضمير منفصل مبني في محل رفع خبر.

- رأي الكوفيين:

حسب ما أجازته الكسائي:

«قد كنت أظن أنّ العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إيّاها».

الكوفيون أخذوا برأي الكسائي الذي أجاز النصب والرفع معاً، أما القياس عندهم كما ذكره أبو البركات عبد الرحمان بن محمد بن أبي سعيد الأتباري (ت.577هـ)، هو أنّ:

إذا: ظرف مكان والظرف يرفع ما بعده وتعمل في الخبر عمل «وجدت»، فوجب أن يقال:

« فإذا هو إيّاها». (الأتباري، 2007، ص211).

الإعراب حسب رأي الكسائي:

الفاء: لازمة لإذا الفجائية.

إذا: فجائية لا محل لها من الإعراب.

هو: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

إيّاها: ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به.

تعمل عمل الظروف وعمل وجدت، وإذا كانت للمفاجأة كانت بمنزلة "إذا" كما قالوا إنّ: «وجدت» كانت "إذا" ووجه الدليل من هذه المسألة أن العرب وافقت الكسائي، ومن جهة القياس أنّ إذا الفجائية كانت ظرف مكان.

- نقد الكوفيين:

إنّ قولهم إذا الفجائية تعمل عمل الظرف وعمل وجدت باطل، لأنّهم إن أعملوا عمل الظرف بقي المنصوب بلا ناصب، وإن أعملوها عمل الفعل لزمهم وجود فاعل ومفعولين. أمّا قولهم: إنّ (إذا) إذا كانت للمفاجأة كانت بمنزلة «وجدت» فباطل لأنّها كانت بمنزلة «وجدت» في العمل فوجب أن يرفع بها فاعل وينصب بها مفعولان مثال: «وجدت زيداً قائماً». ترفع الفاعل وتنصب مفعولين.

وإذا قالوا إنّها بمعنى «وجدت» ولا تعمل عملها، ثمّ إنّ قولهم: حسبك زيد بمعنى الأمر وهو اسم وليس فعل.

كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدًّا﴾. سورة مريم، الآية 75. لفظه لفظ الاستفهام والمراد به الأمر.

قوله تعالى: ﴿فَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾. المائدة، الآية 91. لفظه لفظ الاستفهام والمراد به الأمر.

أمّا من الناحية النحوية عندما قال بأنّ «إذا» عاملة فهي تعمل عمل «وجدت» من ناحية المعنى صحيح، لكنّ الخطأ الذي وقع فيه أنّ «وجد» من الأفعال المتعدية إلى مفعولين.

فيجب أن يقول الكسائي: «فإذا إياها إياها»، وتعرب ضمائر منفصلة. (الأنباري، دت، ص 210-211).

نجد أنّ هناك تضارب النحاة في تصنيف (إذا) الفجائية فهناك من يرى أنّ هذه المفردة هي ظرف فاختلف القائلون في ظرفيتها، حيث ذهب طائفة منهم إلى تسميتها بالظرفية المكانية، في حين مال الآخرون إلى تصنيفها ضمن ظروف الزمان.

كانت هذه المناظرة محلّ اهتمام الدارسين الأقدمين في العصور المتتالية، وبلغت من الشهرة المكان الأرفع فهناك من نظمها في منظومة شعرية. وقد أدت إلى تقسيم الدارسين إلى موقفين:

موقف مؤيّد لرأي سيبويه إمام البصريين.

وموقف آخر مؤيّد لرأي الكسائي إمام الكوفيّين.

- النتيجة:

النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه المناظرة هي:

- إنّ قول "سيبويه" صائب صحيح، وقول الكسائي فيه نظر كثير، والخلاف بينهما خلاف بين نهجين، فالبصريون ويمثّلهم سيبويه يأخذون باللّغة العليا الفصيحة، فيقولون بالرفع وكذا نزل القرآن الكريم.

أمّا الكوفيون ويمثّلهم الكسائي فيأخذون بلغات العرب كافة، فهم أوسع رواية عن العرب وأكثر احتراماً للّغات.

- "إذا" بمعنى «وجدت» احتمال صائب لكنّها لا تعمل عمل «وجدت»، و«وجد»

من أفعال القلوب تنصب مفعولين، إذن لم يكن وجه الكسائي وجهًا صائبًا.

- اشتدت المنافسة بين "سيبويه" و "الكسائي" في المناظرة ممّا أدى إلى خيبة أمل

فأصابه الغمّ، وحطّت به الهموم فمات كمدًا. "سيبويه".

(3) مناظرة بين الجرمي والفراء:

الخلافا في رافع المبتدأ:

حكى أنه اجتمع أبو عمر الجرمي صالح بن اسحق المعروف بالجرمي (ت 225هـ) وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المعروف بالفراء (ت 207هـ) لكي يتناظرا في مسألة نحوية. فكان لهما رأيان مختلفان: رأي للجرمي وآخر للفراء.

(أ) - زمانها:

في القرن الثالث للهجرة.

(ب) - مكانها:

بغداد.

جمهور من الناس بعضهم مؤيد لرأي الجرمي، والبعض الآخر مؤيد لرأي الفراء.

(ج) - طرفاها:

الطرف الأول هو أبو عمر الجرمي صالح بن اسحاق المعروف بالجرمي.

الطرف الثاني هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المعروف بالفراء.

(د) الدافع إليها:

إثبات الذات من خلال قول كل خصم لرابه ومحاولة إقناع الغير، ودحض فكرة الخصم الثاني.

(هـ) - أحداثها:

قال الفراء للجرمي:

أخبرني عن قولهم: زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، بم رفعوا زَيْدًا؟

فقال له الجرمي: بالابتداء.

فقال له الجرمي: تعريته من العوامل.

فقال له الفراء: فأظهره.

فقال له الجرمي: هذا معنى لا يظهر.

فقال له الفراء: فمثله.

قال الفراء: ما رأيت كالיום عاملا لا يظهر ولا يتمثل.

فقال له الجرمي: أخبرني عن قولهم: «زَيْدٌ ضَرَبَتْهُ». (الزاكي، 1984-1985، ص135).

بم رفعت زَيْدًا؟

فقال: بالهاء العائدة على زيد.

فقال الجرمي: الهاء اسم، فكيف يرفع الاسم؟

قال الفراء: نحن لا نبالي من هذا فنحن نجعل كل واحد من المبتدأ والخبر عاملا في صاحبه في نحو، زيدٌ مُنْطَلِقٌ.

فقال له الجرمي: يجوز أن يكون كذلك في زيد منطلق، لأنَّ كلَّ واحد من الاسمين مرفوع في نفسه فجاز أن يرفع الآخر، وأما الهاء في «ضربته» فهي محل نصب، فكيف ترفع الاسم؟.

فقال الفراء: لم ترفعه به، وإنما رفعناه بالعائد.

فقال الجرمي: وما العائد؟

فقال له الفراء: معنى.

فقال له الجرمي: أظهره.

قال: لا يظهر.

قال: مثله.

قال: لا يتمثل.

فقال الجرمي: لقد وقعت فيما فررت منه، فيقال لما افترقنا.

قيل للفراء: كيف رأيت الجرمي؟

قال: رأيت آية.

وقال للجرمي: كيف رأيت الفراء؟

قال: رأيت شيطاناً. (الزكري، 1984-1985، ص136-137).

والواضح أنّ موضوع هذه المناظرة يتمثل في الخلاف في رافع المبتدأ.

- التحليل:

في هذه المناظرة يمثل الجرمي مذهب البصريين، ويمثل الفراء مذهب الكوفيين، وقد تنازعا في عامل الرفع في المبتدأ، وهو أحد ثمرات القول بنظرية العامل.

فالمبتدأ مرفوع عند الجميع، ولكن الخلاف في العامل الذي أحدث الرفع فيه وفي خبره، ففي المناظرة يرى الجرمي:

أنّ المبتدأ مرفوع بالابتداء، فالابتداء عامل غير ملفوظ به، إذ فهو عامل معنوي فسره الجرمي بتعريف الاسم المبتدأ به من العوامل.

وطالبه الفراء بإظهار هذا العامل أو تمثيله، فهو يعترض على هذا العامل المعنوي، فكيف يرفع الاسم، وهو لا يظهر ولا يتمثل؟

-النتيجة:

يبدو لنا أنّ ما ذهب إليه «الجرمي» من أنّ رافع المبتدأ هو الابتداء أوضح وليس عليه من اعتراض، فالمبتدأ حيث ما وقع من الجملة فهو متحدّث عنه، ومسند إليه فملاحظة هذا المعنى هو الابتداء المراد والرفع دلالة على ذلك، وليس كلّ كلمة تصدرت الجملة حقها الرفع. وما يسمى العامل فيه بالابتداء إلاّ لأنّ المبتدأ يقع في صدر الكلام كثيرًا، وإنّما قال النحويون: «عامل لفظي وعامل معنوي». (الزاكي، 1984-1985، ص138).

4- مناظرة بين ابن خروف والسهيلي:

طرفاها:

- ابن الحسن علي محمد بن علي الحضرمي المعروف بابن خروف (610هـ).

- عبد الرحمان بن عبد الله بن الخطيب المعروف بالسهيلي (581هـ).

"أكل كلّ ذي ناب من السّباع حرام"

قال ابن خروف للسهيلي: في هذا الحديث من سوء التّأويل والهذر والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لإخفاء به. أعادنا الله مما ابتلي به، وإنها بزلة عظيمة يجب استتابة قائلها، وذلك أنها قال: يجوز أن يحمل الحديث على أصل رابع وهو المضارعة، فإن الله تعالى إذا حرم شيئاً حرمت الشريعة ما يضارعه، كما حرم ما يضارع الزّنا مضارعة قريبة وكره ما يضارعه من بعده، كالنظرة والقعود في موضع امرأة قامت عنه حتى تود، روي ذلك عن عمر رضي الله عنه، والفلذ يشم طيب على امرأة، ونظائر كثيرة. (السيوطي، 2008، ص140).

فلما حرم الله الخنزير حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضارعه ويشاركه في النّاب والصفة الخنزيرية، فحرم الله سبحانه الأصل وحرم رسول الله الفرع، والكل من عند الله كما حرم الله الجمع بين الأختين، وحرم رسول الله الجمع بين العمة وابنة أخيها وبين الخالة وابنة أختها، وبين العمّتين والخالتين بناءً أمته عليه السّلام على الأصل الثابت في كتاب الله تعالى والتفاتا

إليه، كذلك حرم كل ذي ناب بناء على الأصل الثابت من تحريم الخنزير استنباطاً منه ونظراً إليه.

قال ابن خروف: هذا الرجل يخبر أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم شيئاً بالاستنباط من غير أن نأمر بتحريمه، وقوله: "والكل من عند" كلام مكفى إذا لا يجتمع مع ما قبله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم البراءة والتنزيه مما نسب إليه. (السيوطي، 2008، ص140).

قال السهيلي: ما أجهل هذا الجاهل حيث ينكر ما لا ينكره أحد، وهو مسطور في كتاب مختصر الطليطلي لمؤلفه الحسن علي بن عيسى بن عبيد المعروف بالطليطلي (ت340هـ)، لأن مؤلفه ذكر أنه (صلى الله عليه وسلم) يستنبط الشرائع، وهذا الجاهل من جفاة المقلدين فليقنعه على طريقة التقليد كلام الطليطلي، واستنباط رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح لا يدفع في بيوته، ولا ينكره إلا جلف جاف وكل ما ورد عتبه صلى الله عليه وسلم مما لم ينطق به القرآن وإن كان متضمناً لكل شيء فهو كل هذا المنجي وإذا لم يستنبط رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا يستنبط.

قال السهيلي في قوله تعالى:

"وجعل منهم القردة والخنازير" المائدة، الآية 7.

الألف واللام يدلان على معنى الاتعاض والاعتبار وفهم ابن خروف أنه يثبت للألف واللام معنى ثالثاً أو رابعاً، وهو معنى الاتعاض، فرد عليه بأنه قال ما لم يقله أحد.

قال السهيلي رادا عليه: إنما أردت أن الله سبحانه لما خاطب أهل الكتاب بهذا، فأشار إلى الجنس المعروف من القردة والخنازير التي مسخ سلفاً من الأمم على مشيها وصورتها لم يكن تعد من الألف واللام الدالتين على تعيين الجنس حين دخل الكلام معنى الاتعاض الاعتبار والتخويف ولو قال قردة وخنازير لم يكن فيه ذلك. (السيوطي، 2008، ص140).

5- مناظرة بين أبي حاتم والتوزي: هل الفردوس مذكر أم مؤنث؟

طرفاها:

- أبو حاتم سهل بن محمد عثمان السجستاني (248هـ).

- أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بالتوزي (238هـ).

قال الزجاجي في كتابه الأمالي: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة عن أبي حاتم قال: كنت عند الأخفش سعيد بن مسعدة وعند التوزي، فقال لي التوزي: ما صنعت في كتاب المذكر والمؤنث يا أبا حاتم؟

قلت: قد جمعت منه شيئا، قال: فما تقول في الفردوس؟

قلت: هو مذكر.

قال: لقوله تعالى: ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ سورة المؤمنون، الآية 11.

قلت: ذهب إلى معنى الجنة فإنه كما قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ الأنعام، الآية 125.

فأنت والمثل مذكر لأنه ذهب إلى معنى الحسنات وكما قال عمر بن أبي ربيعة:

فكان مجيئ دون ثلاث شخوص

من كنت أتقي كاعبان ومعصر

فأنت والشخص مذكر لأنه ذهب إلى معنى النساء وأبان ذلك بقوله:

كاعبان ومعصر، وكما قال آخر:

وإن كلابا وأنت بريء

هذه عشر أبطن من قبائلها العشر

فأنت والبطن مذكر لأنه ذهب إلى القبيلة فقال لي: يا غافل.

الناس يقولون: نسألك الفردوس الأعلى، قلت: يا نائم هذه حجتني لأن الأعلى من صفات الذكران لأنه أفعل، ولو كان مؤنثا لقال العلياء كما قال الأكبر والكبرى، والأصغر والصغرى، فسكت خجلا.

وهناك مسائل نحوية جرى فيها النقاش بين العلماء مثل:

1) الأصل في اشتقاق الاسم:

ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوسم وهو العلامة.

وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا:

إنما قلنا إنه مشتق من الوسم لأن الوسم في اللغة هو العلامة، والاسم وسم على المسمى، وعلامة له يعرف به.

إذا قلت زيد أو عمرو دل على المسمى، فصار كالوسم عليه.

فلهذا قلنا إنه مشتق من الوسم.

والأصل في «اسم» وسم إلا أنه حذف منه الفاء التي هي الواو في وسم وزيدت الهمزة في أوله عوضا عن المحذوفة.

أما البصريون احتجوا بأن قالوا:

إنما قلنا إنه مشتق من السمو لأن السمو في اللغة هو العلو، يقال: سما يسموا سموًا، إذا علا ومنه سميت السماء سماً لعلوها والاسم يعلو على المسمى.

فلما سما الاسم على مُسَمَّاهُ وعلا على ما تحته من معناه دلَّ على أنَّه مشتقُّ من السمو، لا من الوسم.

ومنهم من تمسك بأن قالوا: إنَّما قلنا إنَّه مشتق من السمو، وذلك لأنَّ هذه الثلاثة الأقسام التي هي الاسم والفعل والحرف لها ثلاث مراتب:

فمنها ما يُخَبَّرُ به ويُخَبَّرُ عنه وهو "الاسم".

ومنها ما يُخَبَّرُ به ولا يُخَبَّرُ عنه وهو "الفعل" نحو "ذهب زيد"، وانطلق عمرو، فأخبرت بالفعل.

ومنها ما لا يُخَبَّرُ به ولا يخبر عنه وهو "الحرف" نحو "من" و "لن" و "لم" و "بل". (ابن الأثيري، دت، ص 4-5-6).

فلما كان الاسم يُخَبَّرُ به ويُخَبَّرُ عنه والفعل يخبر به ولا يُخَبَّرُ عنه والحرف لا يُخبر به ولا يخبر عنه فقد سما [الاسم] على الفعل والحرف.

أي علا، فدلَّ على أنَّه من السمو، والأصل فيه "سيمو" على وزن فِعْلٌ بكسر الفاء وسكون العين، فحذفت اللام التي هي الواو وجُعِلَت الهمة عوضا عنها، ووزنه إفع لحذف اللام منه.

الكوفيون في قولهم: إنَّما قلنا إنَّه مشتق من الوسم لأنَّ الوسم في اللغة العلامة والاسم وسم على المسمى وعلامة عليه يعرف به.

(2) رَبِّ ما هي؟

ذهب الكوفيون إلى أنَّ "رَبَّ" اسم، وذهب البصريون إلى أنَّه حرف جرّ.

أمَّا الكوفيون فإنَّهم احتجوا بأن قالوا: إنَّما قلنا إنَّه اسم حملا على "كَمْ" اسم فكذلك "رَبَّ".

والذي يدلّ على أنّ "ربّ" ليست بحرف جرّ أنّها تخالف حروف الجرّ، وذلك في أربعة أشياء.
أحدهما: أنّها لا تقع إلاّ في صدر الكلام، وحروف الجرّ لا تقع في صدر الكلام، وإنّما تقع
متوسطة لأنّها إنّما دخلت رابطة بين الأسماء والأفعال.

والثاني: أنّها لا تعمل إلاّ في نكرة، وحروف الجرّ تعمل في النكرة والمعرفة.

والثالث: أنّها لا تعمل إلاّ في نكرة موصوفة، وحروف الجرّ تعمل في نكرة موصوفة وغير
موصوفة.

والرابع: أنّه لا يجوز عندكم إظهار الفعل الذي تتعلق به وكونه على خلاف الحروف في هذه
الأشياء دليل على أنّه ليس بحرف.

والذي يدلّ دلالة ظاهرة على أنّه ليس بحرف أنّه يدخله الحرف فيقال في "رُبّ": رُبّ.

قال تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾. [سورة الحجر، الآية 2].

قرئ بالتخفيف كما قرئ بالتشديد.

وفيها أربع لغات:

رُبّ، ورُبّ، ورَبّ، وربّ، بضم الراء وتشديد الباء وتخفيفها وفتح الراء وتشديد الباء وتخفيفها،
فدلّ على أنّها ليست بحرف.

أمّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنّها لا يحسن فيها علامات الأسماء ولا علامات
الأفعال وأنّها قد جاءت لمعنى في غيرها كالحرف، وهو تقليل ما دخلت عليه نحو «رُبّ رجلٍ
يفهم» أي ذلك قليل. (ابن الأنباري، دت، ص 319-320).

- التحليل:

وأما الجواب على كلمات الكوفيّين:

أما قولهم «إِنَّمَا إِنِّهَا حَمَلًا عَلَى كَمْ» للعدد والتكثير.

«وَرُبُّ لِلْعَدَدِ وَالتَّقْلِيلِ».

قلنا لا نسلم أَنَّهَا للعدد وَإِنَّمَا هِيَ للتقليل فقط على أَنَّ "كَمْ" إِنَّمَا حَكَمَ بِأَنَّهَا اسْمًا، لِأَنَّهُ يَحْسُنُ فِيهَا
عَلَامَاتُ الْأَسْمَاءِ نَحْوَ دَخُولِ حُرُوفِ الْجَزْرِ عَلَيْهَا نَحْوُ: "بِكَمْ رَجُلٍ مَرَرْتَ".

وجواز الإخبار عنه، نَحْوُ «كَمْ رَجُلًا جَاءَكَ» وهذا غير موجود في "رُبُّ" فدلَّ على الفرق بينهما.

وأما قولهم «إِنَّمَا تَخَالَفَ حُرُوفُ الْجَزْرِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءٍ أَحَدُهَا أَنَّهَا لَا تَقَعُ إِلَّا فِي صَدْرِ الْكَلَامِ»،
قلنا: إِنَّمَا لَا تَقَعُ إِلَّا فِي صَدْرِ الْكَلَامِ لِأَنَّ مَعْنَاهَا التَّقْلِيلُ، وَتَقْلِيلُ الشَّيْءِ يَقَارِبُ نَفْيَهُ، فَأَشْبَهَتْ
حَرْفَ النِّفْيِ، وَحَرْفَ النِّفْيِ لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ.

وقولهم في الثاني «إِنَّمَا لَا تَعْمَلُ إِلَّا فِي نَكْرَةٍ» قلنا:

لِأَنَّهَا لَمَّا كَانَ مَعْنَاهَا التَّقْلِيلُ وَالنَّكْرَةُ تَدَلُّ عَلَى الْكَثْرَةِ وَجِبَ أَلَّا تَدْخُلَهَا إِلَّا عَلَى النَّكْرَةِ الَّتِي تَدَلُّ
عَلَى الْكَثْرَةِ لِيَصِحَّ فِيهَا مَعْنَى التَّقْلِيلِ.

وقولهم في الثالث: «إِنَّمَا لَا تَعْمَلُ إِلَّا فِي نَكْرَةٍ مَوْصُوفَةٍ» قلنا: لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا ذَلِكَ عَوْضًا عَنِ
حَذْفِ الْفِعْلِ الَّذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ.

وقولهم في الرابع: «إِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِظْهَارُ الْفِعْلِ الَّذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ».

قلنا: إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ إِجْازًا وَاخْتِصَارًا. (ابن الأثير، دت، ص 320-321).

إِذَا قُلْنَا: رُبُّ رَجُلٍ يَعْلَمُ كَانَ تَقْدِيرُهُ: رُبُّ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَدْرَكَتْ، أَوْ لَقِيتْ.

فحذف لدلالة الحال عليه، كما حذف في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾. [سورة

النمل، الآية 12]

وأما قولهم «إِنَّه يدخله الحذف والحذف لا يدخل الحرف» قلنا: لا نَسَلَمُ، فَإِنَّه قد جاء الحذف في الحرف، فَإِنَّ "أَنَّ" المشددة يجوز تخفيفها وهي حرف.

(3) القول في نعم وبئس أفعال أم اسمان؟

ذهب الكوفيون إلى أَنَّ "نعم" و "بئس" اسمان مبتدآن، وذهب البصريون إلى أَنَّهما فعلان ماضيان لا يتصرفان وإليه ذهب الكسائي من الكوفيين احتجاجوا بأن قالوا:

الدليل على أَنَّهما اسمان مبتدآن دخول حرف الخفض عليهما، فَإِنَّه قد جاء عن العرب أَنَّها تقول: «مازِيدٌ بِنِعَمِ الرَّجُلِ».

قال حسان بن ثابت: رضي الله عنه: أَلَسْتُ بِنِعَمِ الْجَرِّ يُؤَلِّفُ بَيْتَهُ أَحَا قَلَّةٍ أَوْ مُعَدَمَ الْمَالِ مُصْرِمًا.

وحكى أَنَّ بعض فصحاء العرب يقول: «نِعْمَ السَّيْرُ عَلَى بئس العَيْرُ».

وحكى أبو بكر بن الأنباري [أبو بكر محمد ابن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري] (ت.327هـ)، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن الفراء أعرابيا بشر بمولودة فقيل له: نعم المولودة مَوْلُودَتُكَ فقال: «والله ما هي بِنِعَمِ المَوْلُودَةِ، نُصِرَتْهَا بكاءً، وبِرُّها سرقةً» فأدخلوا عليها حروف الخفض.

ودخول حرف الجر يدل على أَنَّهما اسمان لأنَّه من خصائص الأسماء، ومنَّهم من تمسك بأن قالوا: الدليل على أَنَّهما اسمان أَنَّ العرب تقول:

«يا نِعَمَ المَوْلَى ويا نِعَمَ النَّصِيرِ»، فنداؤهم "نِعَم" يدل على الاسمية لأنَّ النداء من خصائص الأسماء ولو كان فعلا لما توجَّه نحوه النداء قالوا: ولا يجوز أن يقال:

إِنَّ المقصود بالنداء محذوف والتقدير فيه:

يا الله نعم المولى ونعم النصيرُ أنتَ فحذف المنادى لدلالة حرف المنادى عليه، لأن نقول:
الجواب عن هذا أنَّ المنادى إنّما يقدر محذوفا إذا وليّ حرف النداء فعل أمر وما جرى مجراه.
كقراءة الكسائي:

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ سورة النمل، الآية 25.

أراد: يا هؤلاء اسجدوا كما قال الأخطل [غوث بن الصلت بن طارقة].

أَلَا يَا سَلْمَى يَا هِنْدُ هِنْدُ بَنِي بَدْرٍ وَإِنْ كَانَ حَيَاتَنَا عَدَىٰ أَخْرِ الدَّهْرِ

لذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله عزّ وجلّ نداء ينفك عن أمر أو نهي، ولذلك لما جاء بعده في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمْعُوا لَهُ﴾ سورة الحج، الآية 73.

شفعة الأمر في قوله: ﴿فاستمعو له﴾

فلما كان النداء لا يكاد ينفك عن الأمر جاز أن يحذف المنادى من الجملة الأولى وليس كذلك:
« يا نعم المولى ويا نعم المصير»، لأنّ "نعم" خبر، فلا يجوز أن يقدر المنادى فيه محذوفا.
(ابن الأتباري، دت، ص 86-87-88).

ومنهم من تمسك بأن قال:

الدليل على أنّهما ليس بفعالين أنّه لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ألا ترى أنّك لا تقول: «نعم الرجلُ أمس».

ولا "نعم الرجلُ غدًا"، وكذلك أيضا لا تقول: «بئس الرجلُ أمس»، ولا "بئس الرجلُ غدًا" فلما لم يحسن اقتران الزمان بهما علم أنّهما ليس بفعالين.

ومنهم من تمسك بأن قال: الدليل على أنّهما ليسا بفعالين أنّهما غير متصرفين لأنّ التصرف من خصائص الأفعال فلما لم يتصرفا دلّ على أنّهما ليسا بفعالين.

أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا:

الدليل على أنهما فعلان اتصال الضمير المرفوع بهما على حدّ اتصاله بالفعل المتصرف فإنّه قد جاء عن العرب أنّهم قالوا:

«نعماً رجّلين، ونعموا رجّالاً»، وحكي ذلك الكسائي: وقد رفع مع ذلك المظهر في نحو "نعم الرجل، وبئس الغلام" والمضمر في النحو:

«نعم رجلاً زيداً وبئس غلاماً عمّروا» فدلّ على أنّهما فعلان.

ومنهم من تمسّك بأن قال: الدليل على أنّهما فعلان اتصالهما بتاء التانيث الساكنة التي لا يقلبها أحد من العرب في الوقف هاءً.

كما قلبوها في نحو: "رَحْمَةٌ وَسَنَةٌ وَشَجَرَةٌ".

وذلك قولهم: «نعمتِ المرأة، وبئستِ الجارية».

لأنّ هذه التاء يختصّ بها الفعل الماضي ولا تتعدّاه فلا يجوز الحكم بإسمة ما إتصلت به. (ابن الأنباري، دت، ص 89-90).

- التحليل:

اعترض البصريون على هذا بأن قالوا: قولكم «إنّ هذه التاء يختصّ بها الفعل».

ليس صحيح، لأنّه قد إتصلت بالحرف في قولهم "رَبَّتْ، وَنُمَّتْ، وَ لَاتٌ"، في قوله تعالى: ﴿فَنَادُوا وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ سورة ص، الآية 3.

فلحاقها بالحرف يبطل ما ادّعينموه من اختصاص الفعل بها وإذا بطل جاز أن تكون "نعم، بئس" اسمين ولحقتهما هذه التاء كما لحقت "رَبَّتْ، وَنُمَّتْ" هذا على أنّ "نعم، وبئس" لا تلزمهما التاء بوقوع المؤنث بعدهما كما تلزم الأفعال ألا ترى أنّ قولك: «قامَ المرأة، وَقَعَدَ الجارية» لا

يجوز في سعة الكلام بخلاف قولك "نعم المرأة، وبئس الجارية". فإنه حسن في سعة الكلام؟ فبان الفرق بينهما.

وهذا الاعتراض الذي ذكره ساقط، وأما التاء التي اتصلت بـ "رُبْتُ"، و"تُمْتُ"، وإن كانت للتأنيث، إلا أنها ليست التاء التي في "نِعِمْتُ، وبِئْسْتُ"، والدليل على ذلك من وجهين، أحدهما:

أنَّ التاءَ في "نِعِمْتُ المَرأةَ، وبِئْسَتِ الجاريةُ" لحقت الفعل لتأنيث الاسم الذي أسند إليه الفعل كما لحقت في قولهم "قَامَتِ المَرأةُ". لتأنيث الاسم الذي أسند إليه الفعل. (ابن الأنباري، دت، 91).

والتاءَ في "رُبْتُ، وتُمْتُ" لحقت لتأنيث الحرف لا لتأنيث شيء آخر.

والوجه الآخر، أن التاءَ اللَّاحقةَ للفعل تكون ساكنة وهذه التاءَ التي تلتحق هذين الحرفين تكون متحركة.

كما نذكر بعضاً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين:

1) التعجب من السواد والبياض:

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يستعمل ما أفعله في التعجب من البياض والسواد خاصة من بين سائر الألوان نحو أن تقول: هذا الثوب ما أبيضه، وهذا الشعر ما أسوده.

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز فيهما كغيرهما من سائر الألوان.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا إنما جوزنا ذلك للنقل والقياس أما النقل فقد قال الشاعر:

إذا الرجال شتوا واشتدَّ أكلهمُ فأنت أبيضهمُ سريالَ طبَّاح

وجه الاحتجاج أنه قال: "أبيضهم" وإذا جاز ذلك في "أفعلهم"، جاز في "ما أفعله، وأفعل به" لأنهما بمنزلة واحدة في هذا الباب.

قال الشاعر:

نُقِطِعُ الْحَدِيثَ بِالْإِبَاضِ أبيضُ مِنْ أُخْتِ بَنَى إِبَاضِ

فقال: "أبيض" وهو أَفْعَلُ من البياضِ.

وإذا جاز ذلك في أَفْعَلُ من كذا جاز في "مَا أَفْعَلُهُ" و"أَفْعَلُ بِهِ"، لأنَّهما بمنزلة واحدة في هذا الباب.

ألا ترى أن ما لا يجوز فيه "مَا أَفْعَلُهُ" لا يجوز فيه "أَفْعَلُ من كذا"، وكذلك بالعكس منه ما جاز فيه "مَا أَفْعَلُهُ" جاز فيه "أَفْعَلُ من كذا".

فإذا ثبت أنه يمتنع في كل واحد منهما ما يمتنع في الآخر ويجوز ما يجوز في الآخر دلّ على أنَّهما بمنزلة واحدة. (ابن الأنباري، دت، ص 124-125).

وكذلك القول في "أَفْعَلُ بِهِ" في الجواز والامتناع فإذا ثبت هذا فوجب أن يجوز استعمال

"مَا أَفْعَلُهُ" من البياضِ.

وأما القياس فقالوا: إنّما جَوَزْنَا ذلك من السواد والبياض دون سائر الألوان لأنَّهما أصل الألوان ومنهما يتركب سائرها من الحمرة والصُّفْرَة والخُضْرَة والصُّهْبَة والشُّهْبَة والكهبة إلى غير ذلك من الألوان.

فإذا كانا هما أصلين للألوان كلّها جاز أن يُبَيَّنَ لهما ما لم يُبَيَّنَ لسائر الألوان، إذ كانا أصلين لها ومتقدّمين عليها.

وأما البصريّون فاحتجّوا بأن قالوا على أنه لا يجوز أن يستعمل "مَا أَفْعَلُهُ" من البياض والسواد.

أنا أجمعنا على أنه لا يجوز استعمال ممّا كان لونًا غيرهما من سائر الألوان، مثلا: إِفْعَلُّ على نحو: أَحْمَرٌ، وإِصْفَرٌّ، وإِخْضَرٌّ، لأنّ هذه الأشياء مستقرة في الشخص لا تكاد تزول.

وأما الجواب على الكوفيين: فهو احتجاجهم بقول الشاعر:

فَأَنْتَ أْبَيْضُهُمْ سِرْبَالٌ طِبَّاحٍ

فلا حجت فيه من وجهين، أحدهما:

أَنَّهُ شَادٌّ، فَلَا يُؤْخَذُ بِهِ.

والوجه الثاني: أن يكون قوله "فَأَنْتَ" أْبَيْضُهُمْ " أَفْعَلُ" الَّذِي مَوْنِثُهُ فَعْلَاءٌ. كقولك أْبَيْضُ بَيْضَاءُ، ولم يقع الكلام فيه، وإمّا وقع الكلام في أفعال الَّذِي يراد به المفاضلة نحو "هذا" أحسن منه وجهاً، وهو أحسن القوم وجهاً فكأنه قال: مُبْيَضُهُمْ. (ابن الأثيري، دت، ص126-127).

- وأمّا قولهم إنّما جوزنا ذلك لأنّهما أصلان للألوان، ويجوز أن يثبت للأصل ما لا يثبت

للفرع.

قلنا: هذا لا يستقيم وذلك لأنّ سائر الألوان إنّما لم يجز أن يستعمل منها "ما أفعله، وأفعل منه" لأنّها لازمت محالّها فصارت كعضو من الأعضاء.

- أهمية المناظرات و أثرها في تطوّر الدرس النحوي:

يمكن إجمال الأثر الذي تركته المناظرة في الدرس النحوي في الأمور التالية:

- تميّز منهج المناظرة بالتطوّر، إذ استوت المباحث العلمية في قوالب متنوّعة، فانطلقت من هذا الاختلاف مناظرات حقيقية عملت على إثراء الدرس النحوي، إذ إنّ المناظرة فضلاً عن كونها تعكس طبيعة ما تبناه كلّ فريق ومقداره من النتاج الفكري، هي أشبه بالمحكمة يبيّن منها الصلاح من هذا النتاج.

- إنّ اقتضاء الأثر الذي تركته المناظرة في تطوّر الدرس النحوي والصرفي ليس بالأمر الهين، فالمناظرة التي تدور أحداثها في بلاط الحاكم لا يمكن الجزم بسلامة نتائجها من الناحية الموضوعية، إذ لا يخلو أنّ يكون خاطر المناظر مشحوناً ببواعث القلق والتحقّظ والترقب، وذلك

لخشيته مما قد يجر إليه الكلام في أثناء المناقشة، فإنّ ذلك كلّه يترتب عليه الحذر من انتقاء العبارة.

- إنّ أكثر المناظرات شهرة ما كان من الصنف الأوّل، فهي ذات طبيعة خاصة، وعلى الأغلب أنّ النتائج التي ستؤول إليها خاصة أيضا، ولهذا يمكن القول إنّ ما له مثل هذه الطبيعة الاستثنائية ينبغي أن ينظر في مسائله بعناية عند الدرس والتحليل، ولعلّ المناظرة الزنبورية من أهم ما تعهده الأوّلون بتلك العناية. (الصفار، 1971، ص209).

- المناظرة تكسب الدليل الراجح شرعيته للذويوع والانتشار ليصبح قانونا مطردا بقوة المنطق الذي يستند إليه مع مراعاة أنّ تكون مجريات المناظرة خالية.

- المناظرة سبب في تأصيل الدرس النحوي والتذكير بقواعده، فقد أخذت بعض الأحكام طريقها إلى الشيوخ من المجالس إلى الناس مباشرة أو من التصنيف على ما هو ظاهر في كتب المجالس المختلفة، وذلك بفضل التطور الذي وصلت إليه طرق الاستدلال، إذ ليس كلّ ما غلب على الناس هو الصحيح وإنّ كان شائعا متداولاً وإن ما من شيء يقطع الظن إلا البرهان، والبرهان إنّما يكون بالافتراض والاستدلال، وهذا كلّه ضاق أم اتسع من الصناعات لكن الأقوى منها في النهاية هو الذي يستأنس به ويركن إليه، كذلك إنّ الكثير ممّا هو غير شائع قد يكون صحيحا مع قلته، ولربّ كثير شائع يدحضه قليل غير شائع، فهذه تلك ممّا يحسب على التطور الذي وصلت إليه المناظرة ولذا قلنا في تعريفها: وأنها شكل من أشكال العرض الفكري وصورة من صور الإبداع فيه. (الصفار، 1971، ص112).

- ميّزت المناظرات القواعد والمصطلحات التي تواضع عليها العلماء في كلّ مذهب وبينت أيضا تعليلاتهم وتوجيهاتهم التي تفرّدوا بها.

- قدّمت نصوص المناظرات أدلة مهمّة تشير إلى أنّ أصل الخلاف ليس له علاقة دائمة بالجانب الفكري الموضوعي، إذ إنّ أكثر الخلافات نشأت بدوافع شخصية كالخصومة والخلافات وحب الذات والطمع في التقرب للسلطان، والرغبة في إثبات التفوق على الأقران والخصوم، وقد تكون الدوافع عصبية وقبلية أيضا، بل أكثر من ذلك أنّ الكوفيين كانوا يخالفون أحيانا كثيرة لمجرد الخلاف. (الصفار، 1971، ص213).

- أوردت المناظرات الاصطلاحات الخاصة التي سمعت من بعض النحاة لتبقى مهمة أو قليلة مهجورة، أو لتذكر أحيانا على سبيل الإشارة إلى واضعها قبل أن تبيّن المصطلحات وتتضح على نحو ما هي عليه اليوم أو لبيان حقيقة يتطلبها البحث العلمي في درس من النحو أو في مادة من مواد أصوله فإذا كان مشهورا عن الفراء (مثلا) عدم تفريقه بين ألقاب الإعراب والبناء.

الختمة

في ختام بحثنا الذي كان بعنوان المناظرات النحوية ودورها في إثراء النحو العربي تمكننا من استخلاص ما يلي:

- أن فن المناظرة مشرقي الأصل، نشأ عند الفرس وسرعان ما انتقل إلى العرب.
- للمناظرة مواضيع متعددة فقد تكون اجتماعية، أدبية، دينية...إلخ، تعتبر هذه المناظرات ميدانا فسيحا نظرا لأهميتها.
- دعم وتشجيع الأمراء والحكام للمناظرات والعلماء.
- اشتداد المنافسة بين هؤلاء العلماء، نظرا لما يقدمه كل طرف من حجج وبراهين تدحض رأي خصمه.
- أن معظم هذه المسائل الخلافية كانت تجرى بين علماء النحو خاصة مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، وذلك لاختلاف منهج كل مدرسة. فالبصريون يأخذون باللغة العليا الفصيحة، أما الكوفيون فيأخذون بلغات العرب كافة.
- نالت هذه المناظرات الكثير من الشهرة، وهذا ما جعل الحكام يتسابقون لجلب أكبر عدد من العلماء إلى البلاط.
- ساهمت هذه المناظرات والمناقشات في وضع قواعد النحو العربي، وتوجيه أصول كل من النحو البصري والنحو الكوفي.
- أدت هذه المناظرات دورا مهما في الارتقاء بالنحو إلى أعلى مكانة وذلك بفضل الآراء والاستنتاجات التي انبثقت عن تلك المناقشات التي تجري بين العلماء وأصحاب العقول الراقية.
- تعتبر هذه الخلافات عن بعض العلماء شكلا من أشكال التطور في النحو، وذلك لتعدد المسائل النحوية التي تجري بشأنها الخلافات.

- أنّ مناظرات العلماء ومحاوراتهم النّحوية والصرفية كانت مفرقة في بطون الكتب هنا وهناك دون رابطة أو جامعة تضمّ أشناتها وتربط بينهما، ومعظمها في مصادر ليس من كتب النّحو والصرف مع ما فيها من جهد تحوي وصرفي ظاهر له آثاره ونتائجه، فهدف هذا البحث ضم ما تفرق منها وجمعه وتنظيمه في بحث يسهل الرجوع إليه.
- عالج النّحاة في جدالهم ومناقشاتهم كثيرا من مسائل النّحو والصرف برزت في ثنايا مناظراتهم وهي على قدر كبير من الأهمية وكما ظهرت آراء علمية لها وزن وقيمة.
- توصلنا في هذا البحث إلى رصد المسائل والقضايا، وإلى تقويم تلك الآراء ودراستها بما يخدم العلم. فإنّ النقد يصحح المفهوم، ويولد المعرفة ويحرّك العقول، وهو الذي أثرى المكتبة العربية بعشرات الكتب والبحوث، فإنّ ما كتبه علماء المسلمين في نقد الآراء ونقد الرجال أكثر من أن يحصى.
- عرض العلماء في مناظراتهم كثيرا من قواعد النّحو والصرف، بأسلوب الجدل والمناقشة، وعالجوا المسائل في ضوء النّصوص. وهو منهج متميز، وهو منهج تنشده الدراسات التعليمية الحديثة، ولدراسة النّحو وتدرسه خاصية يجعله قريبا من الفهم.
- تعزيز الثقة بالنفس والالتزان وتقدير الذات لدى المتعلمين.
- اكتساب معارف جديدة ومتعددة والخوض في علوم شتى خارج نطاق المواد الدراسية للمتعلمين وتتصية مهارات التحليل والبحث العلمي.
- كانت المناظرة رافدا مهما من روافد التفاعل الفكري المتطورة على مر العصور، ولذا احتلت نصوصها مكانة كبيرة في الكتب القديمة والحديثة.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المراجع:

- الأفغاني، سعيد، (دت)، من تاريخ النحو، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الأنباري، أبو البركات، (دت)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، (دم)، ط1.
- أسامة، رشيد الصفار، (1971)، المناظرات النحوية والصرفية نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري، كلية التربية، قسم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الحمزاوي، محمد عبيد، (2001)، فنّ الحوار والمناظرة في الأدبين الفارسي والعربي في العصر الحديث، تح: محمد زكي العشاوي، (دم)، (دن)، ط1.
- دسوقي، محمد عرفة، (2007)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لبنان، دار الكتب العلمية، ج1، ط2.
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق، (1999)، مجالس العلماء، تح: عبد السلام محمد هارون، (دم)، مكتبة الفانجي، ط3.
- السامرائي، إبراهيم عبود، (2007)، المفيد في المدارس النحوية، (دم)، دار الميسرة، ط1.
- السيوطي، جلال الدين، (2006)، الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمد سليمان ياقوت، جامعة طنطا، دار المعرفة الجامعية.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر، (2007)، الأشياء والنظائر في النحو، تح: عويد الشيخ، (دم)، دار الكتب العلمية، ج1، ط2.
- الصديق، حسين، (2000)، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، القاهرة، الشركة المصرية العالمية لونجمان.

قائمة المصادر والمراجع

- الطنطاوي، محمد، (دت)، نشأت النحو وتاريخ أشهر النحاة، القاهرة، دار المعارف، ط2.
- عبدو هيثم الشيخ، (2000)، سيبويه النحوي حياته، كتابه، مصادر ترجمته ومراجعها، سوريا، (دن)، ج1، ط1.

- كنون، عبد الله، (1960)، التنوع المغربي في الأدب العربي، (دم)، دار الثقافة، ط1،2،3.
- مكرم، عبد العال سالم، (1980) المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، بيروت، دار الشروق، ط1.
- الموصللي، أبو البقاء يعيش بن علي، (دت)، شرح المفصل للزمخشري، تح: إميل بديع يعقوب، بيروت، دار النشر، ج1.

قائمة الأبحاث والأطاريح الجامعية:

- الزاكي، محمد آدم، (1985)، النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، (رسالة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية)، السعودية، جامعة أم القرى، مج1.

قائمة المعاجم:

- الإفريقي، ابن منظور، (دت)، لسان العرب، (دم)، (دن)، مج5، ط1،2،3.
- الجرجاني، علي بن محمد بن، (دت)، التعريفات، تح: إبراهيم الأنباري، بيروت، (دن).

الفهرس

مقدمة

تمهيد

الفصل الأول: في المناظرات العلمية وعوامل نشأتها

- 1- مفهوم المناظرة.....04
- أ_ التعريف اللغوي.....04
- ب- المفهوم الاصطلاحي.....05
- ج_ المفهوم العلمي.....05
- 2- فن المناظرة.....06
- شروط المناظرة.....07
- 3- أنواع المناظرات.....08
- أ- المناظرات الدينية التعليمية.....08
- ب- المناظرات الأخلاقية التوجيهية.....08
- ج- مناظرات في مدح السلاطين والأمراء.....09
- د- مناظرات في نقد أوضاع المجتمع.....09
- 4- أهمية المناظرات.....10
- 5- تأثر النّحاة بنزعة الجدل.....12

- 6- العوامل المشجعة للمناظرات.....14
- أ- دور العلماء والخلفاء في أذكار روح المناظرة.....14
- ب- حب العلماء للمناظرات والرغبة في التّكسب.....16
- ج- الافتخار والتباهي بالنفس.....17
- د- الاختلاف في الاتجاه النّحوي.....19
- مفهوم السماع.....19
- مفهوم القياس.....19

الفصل الثاني: نمذجة المناظرات النّحوية

- 1-مناظرة عيسى بن عمرو وأبي عمرو بن العلاء.....22
- 2- مناظرة سيوييه والكسائي.....26
- 3- مناظرة الجرمي والفراء.....33
- الخلاف في رافع المبتدأ.....33
- 4- مناظرة السهيلي وابن خروف.....36
- 5-مناظرة بين أبي حاتم والتوزي.....38
- 6- الأصل في اشتقاق الاسم.....39
- 7- ربّ ما هي؟.....40
- 8- القول في نعم ويئس أفعالان أم اسمان؟.....43
- 9- التعجب من السواد والبياض.....46

فهرس المحتويات:

48.....	10- أثر المناظرات النحوية في تطور وإثراء الدرس النحوي.....
51.....	الخاتمة.....
54.....	قائمة المصادر والمراجع.....
57.....	فهرس المحتويات.....